ديوان توفيق الحكيم

تقديم : إبراهيم عبد العزيز



الطبعة الثانية

٢٠٠٧

إهداء

إلى والداي

«رب ارحمهما كما ربياني صغيراً»

ديوان توفيق الحكيم



اسم الكتاب : ديوان توفيق الحكيم

اسم المؤلف : إبراهيم عبد العزيز

رقم الإيداع : ١٤٣٨١ / ٢٠٠٧

الترقيم الدولى : 8 - 26 - 6196 - 977

تصميم الغلاف : كامل جرافيك

جمع إلكترونى : سوفت أيماج

الإشراف العام : محمد الحسينى

المراسلات :

٢١ ش الصناديلى بالجيزة

١٧ ش العطار بالجيزة

ت : ٥٧١٢٦١٨

موبايل : ٠١٠٢٣١٢٥٧٩ ـ ٠١٢٤٦٢٠١٦٠

الموقع الإلكترونى :

www.ostazi.org/darnefro

البريد الإلكترونى :

dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

المحتـــوى

المحتـــوى

المحتــوى

المحتـــوى

تقديم

توفيق الحكيم وقضية الشعر

ما هى علاقة توفيق الحكيم بالشعر والشعراء ؛ ليتحدث فيه حديث العارف الناقد الذى يؤصل له وينشئ له مذهبا فى نظريته « التعادلية » ، ويكتب مقدمات لدواوين شعرية [1] ويخوض آخر معاركه من أجل إيجاد شخصية عربية للشعر العربى الحديث ، لها جذور وأصول عربية لا أجنبية؟

إن الحكيم يرى أن ناقد الأدب يجب أن يمارسه وناقد الشعر يجب أن يقرضه ، وهو فى ذلك مثل « سومرست موم » الروائى الإنجليزى الذى كتب يحذر من خطأ الاعتماد على نقاد من غير الأدباء المبدعين ؛ لأن الناقد الذى لايعمل بنفسه فى حقل الأدب الخلاق يحتمل أن تكون خبرته فى صنعة الرواية بسيطة ؛ لذلك فهو يعتمد فى نقده على انطباعاته الشخصية التى قد لاتكون ذات قيمة تذكر ، أو يصدر أحكاما مبنية على أسس جامدة ، وعلى الروائى أن يتقيد بها إذا ما أراد أن يحوز قبول الناقد .

وهكذا كان رأى توفيق الحكيم أيضا مما نلمسه فى حديثه فى « زهرة العمر » عن العرب والأجانب « الذين قضوا

(١) ديوان « أوراق من حديقة أكتوبر » لفاروق جويدة ، وديوان « حب أو لاحب » لعبد العزيز شرف .

حياتهم ينقدون فنوناً لم يمارسوها قط بأنفسهم ، حتى العرب ونقاد الشعر العربى فى آدابنا مثل « الأصمعى » و« حمّاد عجرد » لم يمارسوا هذا الفن مع روايتهم لكل ما قيل فيه ، وإنى لأذكر قول أحد نقاد العرب هؤلاء ، وقد سألوه (...) : لماذا لايقرض الشعر ؟

فأجاب : أنا كالمسن يشحذ ولايقطع » !

إذن فهل مارس توفيق الحكيم الشعر كى ينقد الشعر ؟

ينبغى للإجابة على هذا السؤال أن نتعرف على بداية علاقة الحكيم بالشعر .

* * *

كان اتجاه الحكيم منذ بواكير حياته الثقافية الأولى يتجه نحو قراءة القصص والروايات خاصة المترجم منها ، ولكن هذا الاتجاه لم يلق قبولا من والده الذى كان يريده أن يتجه إلى الشعر ويجعله جزءا من ثقافته على غير رغبة ابنه واهتماماته ، مما جعله يكره الشعر ويبتعد عنه بعد أن صار بينه وبين الشعر دم مسفوك !

يروى توفيق الحكيم هذه الحكاية من ذكريات « سجن العمر » :

أذكر ذات يوم - قبل التحاقى بالتعليم الأميرى المنتظم - كان يوم جمعه .. وقد ارتدى والدى جلبابه المنزلى وتناول إفطاره وقرأ جريدته ، ولم يجد بعدئذ ما يفعل بوقته فنادانى قائلاً :

تعال أمتحنك ! .. وناولنى كتاب « المعلقات السبع » .. ذلك الكتاب الذى كان يحبه هو ويترنم بأبياته .. وأخرج لى معلقة زهير بن أبى سلمى ، وطلب إلىّ أن أقرأها بصوت مرتفع ، فلما وصلت إلى ذلك البيت :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة .·. يغرس بأنياب ويوطأ بمنسم

سألنى عن معنى « يصانع » ..؟ فلم أوفق إلى إجابة صحيحة .. وأين لمن كان فى مثل سنى وقتئذ أن يعرف حقيقة « المصانعة » فى الحياة ، وهو يجهل الحياة نفسها ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، فى ذلك المجتمع المعقد المتشابك، فلما لم أجب بما يقنعه رفع كفه وضربنى على وجهى ضربة أسالت الدم من أنفى .. وجاءت على الصوت جدتى التى كانت تحبنى ، فصاحت به ، وأخذتنى من يدى إلى حجرتها .. وأنا ألعن المعلقات وأصحابها .. بل ألعن الشعر كله . وكان من الطبيعى والمنطقى أن أحبه كما أحبه أبى ، ولكن الدم الذى سال من أنفى بسببه ، بغّضه إلى نفسى مدة

طويلة . . وكيف كان يمكن أن أحبه وقتئذ وبينى وبينه دم مسفوك ! كرهت الشعر فى تلك المرحلة » .

وقد ساهمت مراحل التعليم التى مر بها توفيق الحكيم فى المدارس الابتدائية والثانوية فى ابتعاده عن الشعر بل عن اللغة العربية نفسها .

يتساءل ويجيب فى « زهرة العمر » : لماذا ؟ السبب بسيط : هو أن النماذج التى وضعت فى أيدينا - ونحن صغار - للبلاغة فى اللغة العربية كانت كتباً غثة المعنى متكلفة المبنى « أسلوبها » أسلوب غايته قبل كل شئ أن يبهر السمع النائم ويطرب الأذن المسترخية « ويتساءل » أيجوز أن تجعل لغة من اللغات وسيلة لهو وأداة براعة كفنون المغنين ، وألعاب الحواة ، أم أن اللغة أداة يسيرةلنقل الأفكار النبيلة ؟ »

ويرى الحكيم أن جلال اللغة العربية فى بساطتها وسيرها قدما نحو الغرض ، نجدها فى كتابات الفلاسفة والمؤرخين العرب ، كـإبن خلدون ، والطبرى ، وابن رشد ، والغزالى ، ويتساءل الحكيم مندهشا : كيف أن هؤلاء « لم يُعرضوا علينا قط فى دراساتنا للأدب العربى بالمدارس » ولعل سؤاله هذا فى « زهرة العمر » ، يظل قائما ومعبراً عن مشكلة اللغة العربية

التى لانزال نشكو منها حتى اليوم ، ويزيد الحكيم الأمر وضوحا حين يقول إن « كل كاتب عربى بسيط الأسلوب نافع لنا فى الحياة يقصونه إقصاءً بحجة أنه غير بليغ ! ويأتون إلينا بالكاتب الذى لاينفع فى حياتنا إلا نموذجا لإثارة السخرية » .

ويصل الحكيم إلى مفتاح اللغة العربية ومفخرتها وهو الشعر « الشعر الذى كان يجب أن ترى فيه نفوسنا المتفتحة أول لون من ألوان الفن . . ماذا انتخبوا لنا منه ؟ قصائد المواعظ والحكم!

هنالك حقا أنواع من الموعظة والحكمة يعرف الشاعر الحق كيف يلبسها ثوبا من الصور الحسية والذهنية ، ترفعها إلى مرتبة الفن العالى . . كما فعل « أبو العلاء » و « المتنبى » و« النابغة الذبيانى » فى بعض قصائدهم ، ولكن الفرز والتمييز والتخير فى هذا الباب يحتاج إلى حاسة فنية لايملكها القائمون بهذا العمل . . حتى الشعر الموسيقى والشعر التصويرى الذى عرضوا علينا بعض نماذجه ـ فى أعمال « البحترى » و« ابن الرومى » على الأخص ـ لم يكن من خير آثارهما » [١] .

* * *

---

(١) زهرة العمر .

تلك كانت ذكريات الحكيم الأليمة مع الشعر فى مراحل الدراسة ، ولكن المدهش كما يقول الحكيم نفسه فى « سجن العمر » أنه عندما قامت ثورة ١٩١٩ لم يتجه مثل بعض زملائه ومعارفه إلى الخطابة أو كتابة المنشورات بل « كان اتجاهى إلى تأليف الأناشيد الوطنية الحماسية وأحيانا كنت ألحنها بنفسى مسترشدا فى التلحين بأنغام تلك الموسيقى الجنائزية التى كانت تعزفها فرقة « حسب الله » « الأصلى » أمام نعوش ضحايا المظاهرات » . . « وقد انتشرت بالفعل بعض تلك الأناشيد إلى حد أدهشنى » . لقد ترددت الأناشيد التى ألفها الحكيم ، فى أحياء بعيدة ، ومدن بعيدة كالإسكندرية ، يرددها الشباب دون أن يعرفوا مصدرها .

ويذهب الحكيم إلى أنه « يخيل إلىَّ أنى نظمت أيضا بضع قصائد من الشعر فى الحركة الوطنية » ولكنها ضاعت ونسيت كأناشيد الثورة التى وضعها الحكيم .

ولكن لماذا كان التحول من كراهية الشعر إلى التعبير به والمشاركة من خلاله فى ثورة ١٩ التى كان الحكيم أحد أبنائها ؟

لا إجابة على هذا السؤال سوى أن الشعر هو الوسيلة الأسهل والأسرع من أى وسيلة أخرى للتعبير والانتشار .

أما كيف يعبر معبر بوسيلة يكرهها ، فالجواب أن الكراهية للشعر عند الحكيم فى مراحل حياته الدراسية صنعتها الظروف والملابسات التى أشرنا إليها سابقا ، ولكن الشعر ليس مكروها فى ذاته عند الحكيم ، وإنما هى كراهية فرضتها عليه ظروف خارجية وإن بقى حب الشعر بداخله وجزءا من تكوينه النفسى والثقافى ، بدليل أنه وجد نفسه مدفوعا بوسيلة الشعر دون أى وسيلة أخرى للمشاركة فى ثورة الشعب الذى هو أحد أبنائه .

ولكن لماذا لم يستمر الحكيم فى استخدام الشعر كوسيلة فنية وأدبية للتعبير عن إبداعاته ؟ لقد استخدم الفن التمثيلى والروائى وترك الشعر جانبا .. فهل كان فى مرحلة الاختيار والمفاضلة ؟

لندع الحكيم بنفسه يفسر لنا فى « سجن العمر » ، سر اتجاهه إلى طريق غير طريق الشعر .

« إنى لأتساءل أحيانا لماذا لم أتجه إلى الشعر للتعبير عن عواطف الشباب كما فعل والدى فى شبابه .. كيف أستطيع ذلك أنا أيضا على نحو ما .. لم تكن القدرة على النظم تعوزنى .. ولا العجز عن الأداة اللغوية .. فقد كنا فى أهم مراحل حفظنا للكثير من النماذج الشعرية وكان غير قليل من

زملائى ينظم الشعر بسهولة .. لا أقصد عن موهبة .. بل لمجرد المحاولة »

ويجيب الحكيم « ليس عندى سوى تعليل واحد ، هو أن الشباب يلجأ إلى الشعر تلبية لنداء الفن فى أعماقة .. فبعض النفوس التى يستيقظ فيها شيطان الفن تحاول أن تجد له مخرجا وثيابا ، والشعر أقرب تلك الأثواب تناولا للشاب .. فالنموذج أمامه فيما حفظ من شعر الشعراء وما عليه إلا أن يسير على الدرب .. هذا إذا لم يكن هناك ثوب آخر كالموسيقى أو الرسم أو التمثيل حل فيه الشيطان من قبل .. وتلك كانت حالتى .. فشيطان الفن عندى كان قد ارتدى ثوب التمثيلية قبل أن يلتفت إلى ثوب القصيدة الشعرية ، ولما حل فيها كمن واستقر ولم يعد يفكر فى الخروج إلى غيرها من أثواب وأشكال »

هذا فضلا عن أن الحكيم كان فى اتجاهه للتمثيلية الأدبية والرواية والقصة مؤسساً لقوالب أدبية جديدة فى الأدب العربى .

ولكن شيطان الشعر ظل يطارد الحكيم محاولا أن يجد له مكانا بين فروع إبداعاته المتعددة .

* * *

فى الوقت الذى حدد فيه توفيق الحكيم طريقه الفنى نحو « التمثيلية الأدبية » كان الشعر أو ما يشبه الشعر ينازعه ويحاول السيطرة عليه متأثرا فى ذلك بالنبع الأول وهو النبع القرآنى الفريد ، ثم الفن الحديث .

فأما النبع الأول فإن الحكيم يتذكر « من حيث الشكل ، كيف كان القرآن يثير فينا التأمل بأسلوبه الفريد . لاهو بالشعر المنظوم . ولاهو بالنثر المرسل . لكنه طاقة شعرية وموسيقية معجزة »[١] .. « وهذا الإعجاب ترك فى نفوسنا أشياء .. وربما ، بدون أن نشعر ، كانت تعيش دائما فى أعماقنا ذكريات هذا الشكل الفريد »[٢]

أما المؤثر الثانى الذى جعل توفيق الحكيم تنازعه نفسه نحو الشعر أو ما يشبه الشعر ، فهو الفن الحديث بداية بالفن التشكيلى - يقول الحكيم « كنت يومئذ تحت تأثير مدارس التصوير الثائرة »[٣].

ويزيد الحكيم الأمر إيضاحاً حين « اتجه هذا الفن الحديث إلى تعميق هذا الشئ الخفى ، فأصبح التصوير مجرد بقع لونيه، والنحت بقع كتليه ، والموسيقى بقع صوتيه ، والشعر بقع

(١) رحلة الربيع والخريف .. لتوفيق الحكيم .
(٢) نفسه .
(٣) السابق .

لفظية . (كلمة البقع هنا تعبير خاص عن انطباعى الشخصى) ونتج عن ذلك نوع من الفن يتصل مباشرة بالعين أو بالأذن دون أن يمر بالعقل »[1] .

وهنا يضع الحكيم أيدينا على بداية محاولاته التى يسميها فى مقدمة الطبعة الأولى من « رحلة الربيع والخريف » - قصائد شعرية نثرية - ثم يقف حائراً فى مقدمة الطبعة الثانية لنفس الكتاب متسائلاً « لست أدرى أى مذهب شعرى بالضبط يمكن أن ينتمى هذا النوع » .

يقول الحكيم متأثراً بالفن الجديد الذى تحدث عنه « ولقد أغرانى هذا الفن الجديد فى السنوات العشرين من هذا القرن (العشرين) وأنا فى باريس - بالشروع فى المحاولة .. فكتبت بضع قصائد شعرية نثرية من هذا النوع ، وهو لايتقيد أيضا بنظم ولابقالب معروف . أهملتها فيما بعد بالطبع .. لأن اتجاهى الأصلى كان إلى المسرح » .

ولكن الحكيم الذى مزق أكثر ما كتب فى هذا المجال احتفظ لنا ببعضه ليسجله فى كتابه « رحلة الربيع والخريف » فيقول فى مقدمته « من تلك الأعمال التى مزقت أكثرها لم أعد أعثر

---

(١) مقدمة « ياطالع الشجرة » لتوفيق الحكيم نقلا عن « رحلة الربيع والخريف » للحكيم نفسه .

إلا على هذا القدر من المقطوعات . بعضها مكتوب فى الأصل على النسق النثرى المتصل الجمل والفقرات » .

وما أثبته توفيق الحكيم فى « رحلة الربيع والخريف » مما يتأرجح بين تسميته « قصائد شعرية نثرية » أو تساؤله الذى يطرح تسمية أخرى « إلى أى مذهب شعرى بالضبط يمكن أن ينتمى هذا النوع » يحدد الحكيم تاريخها فيما بين ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ، فهل لو كان الحكيم قد نشر مقطوعاته المشار إليها ، فى حينها بصرف النظر عن مستواها الذى ينظر إليها به اليوم ، كان قد سبق مؤسسى الشعر الحر فى العالم العربى باعتباره واضعا النموذج الأول كما وضع نموذج التمثيلية الأدبية ، والرواية ، والقصة ، الذى خرج من عباءته مبدعو المسرحية والرواية والقصة بعد ذلك ؟

إن السؤال قد يبدو مطروحا بأثر رجعى ، ولكنه يظل مطروحا لدراسة ما كتب الحكيم فى مجال « الشعر المنثور » ، سمه ما شئت ، وأقول كما قال الحكيم نفسه « فأنا هنا بالطبع لن أستطيع تحديد موضع هذه المقطوعات من الشعر عامة ومن شعرنا الحديث خاصة »[1].

---

(١) السابق .

ويبدو إلحاح السؤال عن تقييم الحكيم شاعراً بقدر إلحاح الحكيم نفسه على أنه كتب الشعر أو ما يشبه الشعر بشهادة النقاد الأجانب أنفسهم ، حتى فيما لايقع تحت تصنيف الشعر كمسرحية « شهر زاد » (١٩٣٤) للحكيم حيث كان هناك « من وصفها بأنها وشى فنى عربي كما ذكر جورج ليكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى مقدمته لها »[١].

ولكن توفيق الحكيم الذى يقدم نفسه فى « رحلة الربيع والخريف » كشاعر أو شبه شاعر كان حريصا على تحديد المقطوعات التى كتبها بتاريخ كتابتها فى العشرينات (١٩٢٦ ـ ١٩٢٧) ثم خوضه آخر معاركه الأدبية فى حياته مع الشعر والشعراء ، هو نفسه توفيق الحكيم الذي يفاجئنا بديوان شعرى كامل يكتبه باللغة الفرنسية ويسميه « قصائد عربية » صراحة فى غير تردد أو مواربه كما فعل فى « رحلة الربيع والخريف » مضمنا إياه « أى هذا الديوان » كثيرا من المقطوعات الى نشرها فى « رحلة الربيع والخريف » مما يؤكد قناعة الحكيم نفسه أنه كان رائدا للشعر العربى الحديث ، وإن لم يجرؤ على أن يقول ذلك ؛ لأنه نشر مقطوعاته التى تردد فى تسميتها ، فى وقت متأخر على ظهور الشعر الحديث فحاول

---

(١) السابق .

أن يؤصله فى معركته مع الشعراء وهى آخر معاركه الأدبية قبل رحيله بوقت قليل ، والتى أدار صاحب هذه السطور رحاها على صفحات مجلة « الإذاعة والتليفزيون » التى عمل بها ولايزال ، حيث بدأت المعركة بعنوان :

« الحكيم يفتح ملف الشعراء »

متسائلاً :

الشعر العربى الجديد صدى أوربى فمتى تكون له شخصيته الأصيلة؟ »

وللحقيقة والتاريخ فقد كان توفيق الحكيم نفسه هو صاحب المعركة ومفجرها حينما وجدته ذات يوم فى إحدى لقاءاتى المتكررة معه خلال الخمس سنوات الأخيرة من صحبته الجميلة ، إيمانا منه بتواصل الأجيال ، وقد قدم إلىَّ ثلاث صفحات مكتوبة بخط يده بالقلم الرصاص الذى اعتاد أن يكتب به ، وقد جعل لسطوره عنوان « توفيق الحكيم وقضية الشعر » لأبدأ بها معه معركة استمرت لمدة ستة أسابيع اشتبك فيها الحكيم مع الشعراء التقليديين والمحدثين ، والنقاد ، بما يؤكد أن توفيق الحكيم قد جعل من الشعر فى حياته « قضية » كما أسماها بنفسه ، مما يؤكد على مكانة الشعر ومنزلته لديه .

ومن المهم أن نسجل هذه المعركة الشعرية ونستعيدها لتبقى دليلا على أهمية الشعر فى حياة توفيق الحكيم الأدبية ، حتى لاتبقى مجهولة بين صفحات مجلة « الإذاعة والتليفزيون » ، ولتضف إلى تأريخنا لحياة توفيق كشاعر له ديوان مطبوع مجهول وهى المفاجأة التى نقدم لها بعد إثبات معركة الرائد الكبير كما جرت فى حينها .

***

توفيق الحكيم يفتح ملف الشعراء

كتب الحكيم يقول تحت عنوان « توفيق الحكيم وقضية الشعر[*] روى أن الشاعر « كيتس » نهض ذات ليلة ، فى إحدى الولائم ، رافعا كأسه بهذا النخب الغريب : اللعنة على ذكرى (نيوتن) .. فلما سأله الحاضرون عما قصد ؟ قال : لأن نيوتن أفسد نظريتنا الشعرية إلى قوس قزح ، حين فسره لنا التفسير المادى .. فشرب الحاضرون عندئذ ـ وكانوا من الشعراء ـ على لعنة نيوتن .. على أن الأيام أثبتت لنا بعدئذ أن العلم لم يستطع هدم « الشعر » ، كما أنه لم يستطع هدم « الدين »،

فالحقيقة الفنية والحقيقة الدينية تستطيعان الحياة على الرغم من ظهور الحقيقة العلمية .

(*) مجلة الإذاعة والتليفزيون ١٤ ديسمبر ١٩٨٥ ـ العدد ٢٦٤٨ .

توفيق الحكيم وقضية الشعر

قضية الشعر العربي عند توفيق الحكيم قديمة، وإن لم يكن قد كتب فيها كثيرا. لأن اهتمامه كان متوجها إلى القوالب الجديدة في أدبنا الحديث مما ليس له تراث يعتمد عليه مثل الرواية والمسرح في وقت كان المجتمع الجديد في حاجة إلى هذه القوالب الجديدة .. أما الشعر العربي فهو تراثنا الحي الراكز في نفوسنا وعقولنا ولم يكن محل مناقشة ولم تكن قد ظهرت له قضية معاصرة تستحق البحث أو الاهتمام ... إلى أن ذهب توفيق الحكيم إلى باريس في أوائل العشرينات فصادف ذلك ظهور السيريالية التي ولدت وأعلنت قبل وصوله بشهر أو شهرين. وكان من نتيجة تحطيم السيريالية لمفاهيم سائدة في الفن والأدب. فتحطمت فيما تحطمت قواعد الشعر التقليدي فيما سمي الشعر الحر. وانتشر في إنجلترا وغيرها من بلاد أوروبا. وكان توفيق الحكيم قبل وصوله باريس من الملازمين لمسجد السيدة زينب يسمع القرآن. ويتفكر فيه ويتأمل ما أتى به [illegible] فيه من أشكال، وكيف كان يشد في النفس الإعجاب بأسلوبه الفريد: لا هو بالشعر المنظوم ولا هو بالنثر المرسل. ولكنه فيه شعرية وموسيقية معجزة.. وجعله ذلك يتعرف من الشعر السيريالي الجديد الذي كان يتغذى ويقلده في بعض ما كتبت وقتذاك، ويعيد إلى الصحف الذي كان يحمل منه، وينظر إلى صوره الأعناب، ومنها صورة الخيول وهي تعدو ضبحا أي صوتت أنفاسها في جوفها من العدو .. قالت الآية الكريمة في سورة العاديات:

والعاديات ضبحا
فالموريات قدحا
فالمغيرات صبحا
فأثرن به نقعا
فوسطن به جمعا
إن الإنسان لربه لكنود

واستلهم توفيق الحكيم من هذه الآيات شعرا كتبه عام ١٩٢٦ قال فيه:

تنفس صبح من أنوف خيول
تعدو لاهثة في وهاد نفسي
أسمع في أعماقي الصهيل
امنعوها من اللحاق بأمسي
إنها في غيوم تمرح

الصفحة الأولى من مقال توفيق الحكيم والذى فتح به ملف قضية التأصيل للشعر الحديث وإن بدا أنه عند النشر قد كتب مقدمة جديدة غير تلك التى احتفظ بها وننشرها هنا للمرة الأولى.

هكذا ينظر شيخ المفكرين توفيق الحكيم ، إلى الشعر كفن خالد عندما عبر عن رأيه هذا فى كتابه « فن الأدب » ، موضحا أنه رغم معرفتنا مثلا بحقيقة القمر كجرم ميت لاماء فيه ولاحياة ، الا أن هذه الحقيقة العلمية لن تمنعه من التأثير فى نفوسنا الشاعرة.

وهذا اليقين بحياة الشعر الدائمة وأهميته فى حياتنا الأدبية، هى قضية قديمة عند توفيق الحكيم وإن لم يكن قد كتب فيها كثيرا ، لأن اهتمامه كان موجها إلى القوالب الجديدة فى أدبنا الحديث مما ليس له تراث يعتد به مثل الرواية والمسرح، وفى وقت كان المجتمع الجديد فى حاجة إلى هذه القوالب الجديدة.

أما الشعر العربى فهو تراثنا الخالد الراسخ فى نفوسنا وعقولنا ولم يكن محل مناقشة ، ولم تكن قد ظهرت له قضية معاصرة تستحق البحث أو الاهتمام.

إلى أن ذهب الحكيم إلى باريس فى أوائل العشرينات فصادف ذلك ظهور « السريالية » التى ولدت وأعلنت قبل وصوله بشهر أو شهرين ، وكان من نتيجتها تحطيم الكثير من المفاهيم السائدة فى الفن والأدب ، فحطمت فيما حطمت

قواعد الشعر التقليدى فيما سمى بالشعر الحر ، وانتشر فى انجلترا وغيرها من بلاد أوروبا .

فى مسجد السيدة

وكان توفيق الحكيم قبل وصوله إلى باريس من الملازمين لمسجد السيدة زينب ، يسمع « القرآن » ويفكر فيه ويتأمل ما أبدعه الله فيه من « الشكل » ، وكيف كان يثير فى النفس الإعجاب بأسلوبه الفريد ، الذى لاهو بالشعر المنظوم ولاهو بالنثر المرسل ، لكنه طاقة إلهية موسيقية معجزة ، وذلك ما جعل توفيق الحكيم ينصرف عن الشعر السيريالى الجديد الذى كاد يحتذيه ويقلده فى بعض ما كتب وقتذاك ، ويتجه إلى المصحف الذى كان يحمله معه ، وينظر إلى صوره باعجاب ، ومنها صورة الخيول وهى تعدو ضبحا ، أى صوتت أنفاسها فى جوفها من العدو .

قال الخالق الأعظم فى الآيات الكريمة من سورة « العاديات » .

والعاديات ضبحا .

فالموريات قدحا .

فالمغيرات صبحا .

فأثرن به نقعا .

فوسطن به جمعا .

إن الإنسان لربه لكنود .

واستلهم توفيق الحكيم من هذه الآيات ، شعرا كتبه عام ١٩٢٥ ، قال فيه :

تنفس صبح من أنوف خيول
تعدو لاهثة فى وهاد نفسى
أسمع فى أعماقى الصهيل
امنعوها من اللحاق بأمسى
إنها فى غيوم تمرق
تتساقط من سنابكها شهب تبرق
وتغرق فى عيون سود .

ولم يكن توفيق الحكيم يقصد شيئا بهذا الشعر ، ولا أن يدعو إلى شئ ، كان كل ذلك فيما يظهر بعيدا عن خاطره ، ولكنه كان فى جو التأثر بكل جديد حوله ، وقد جره التأثر بجو السريالية فى ذلك العهد وما يعنيه من تحطيم القواعد القديمة ، إلى أن يتأثر بالقرآن الكريم وخاصة فى سوره المكية ،

وقد كان القرآن الكريم شيئا جديدا بالنسبة إلى الشعر الجاهلى، وظل جديدا إلى اليوم.

ما يهدد الشعر الجديد

ونحن اليوم بالذات نتجه إلى شعر جديد يتحرر من قيود الوزن والقافية مما يلتزم به الشعر التقليدى ، وكما يرى الحكيم فإن استلهام الشعر الجديد عندنا ، كان صدى لما حدث فى أوروبا مما عاصره فى أوائل العشرينات عندما زار باريس ، وقد ذكر بعض رواد هذا الشعر الجديد تأثره بإليوت الانجليزى ، وهنا تنبه توفيق الحكيم إلى أنه سبق له فى العشرينات أن تأثر بالقرآن فى هذا الاتجاه ، فلماذا لايفطن شعرنا الجديد إلى الأولى والأجدى به أن يكون النموذج له فى التأثر ، وهو القرآن الكريم الذى خرج عن الشكل المعمول به فى الشعر العربى التقليدى وقواعده.

وفى رأى الأستاذ الحكيم ، إنه إذا فطن هذا الشعر الجديد وشعراؤه إلى هذا المصدر لتكونت بذلك شخصية الشعر العربى الجديد الذى بدا للجميع أنه كالزهور الصناعية لاتنبت جذوره من أرضه ، بل من أرض أجنبية ، وهو ما يهدده بالذبول والزوال ، وينذر بالعودة إلى التراث الراسخ فى القلوب والأسماع وهو الشعر العربى التقليدى.

ولهـذا فـإن توفـيق الحكيم يعـتـقـد أن الذى ينقـذ الشـعـر الجـديد ليس مـجـرد التـعـديـل فى التـفـاعل ونحـو ذلك من الشكليات التى يثبت بها عدم انفصاله عن تراثه (والواضح أن هذا الانفصال حدث بعد الحرب العالمية الأولى مواكبا لما حدث فى أوروبا للشعر الجاهلى) . . ولكن الذى ينقذ الشعر الجديد فعلا هو انتماؤه إلى كتاب العربية والإسلام الأكبر وهو القرآن الكريم ، وكــان هو فى نفس الأسلوب والشكل ، النمــوذج الجديد الأعظم الذى واجه الشعر الجاهلى الراسخ ، بتجديده المبين .

ولذلك يدعو توفيق الحكيم ، المجددين من المبدعين فى الشعر الحديث أن ينظروا إلى تجديدهم فى القرآن الكريم بدلاً من احتذاء شعر « إليوت » وغيره من شعراء المجددين فى أوربا . . فما رأيهم ؟

ويرى توفيق الحكيم أن المبرر الوحيد لتغيير التفاعيل والقــوافى ، مما هو جـوهر هذا الشـعـر الجـديد ، أن يتـجـه استخدامه إلى مجال « الدراما » والمسرح والقصة ، أى القوالب الجديدة فى عالمنا الجديد . . أى مما لم يكن معروفا من قبل فى تراث الأدب العربى القديم ، فالجديد يلائمه الأسلوب الجديد .

وفى قضية الشعر عامة يقول توفيق الحكيم فى كتاب قديم له عن « أدب الحياة » إنه ليس ممن يتمسكون بعمود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه بغير جدال ومناقشة ، فهو مستعد دائما للإصغاء إلى كل رأى جديد .

وليس كل شعر يدبج على الطريقة القديمة يعجبه ، فمن شعراء العصور الحديثة من يحاول تقليد القديم بفخامة الديباجة وغرابة اللفظ ورصانة العبارة ورنين الوزن والتزام القافية ، فإذا به يجد الصخرة الصلبة حقا ولكنه لايجد الماء الزلال .. إذا به يجد الناظم ولايجد الشاعر .

وإن هناك من يزعم أنه شاعر مجيد لمجرد أنه يملك قاموسا عربيا ، ويجيد القوافى والأوزان ،ويجد من يصدقونه ، يظنون أنه يقول شعرا ، وفى الحقيقة ليس بشاعر ذلك الذى يقدم الصخرة ولايفجرها حياة .

كما أنه ليس بشاعر ذلك الذى يغرف من نهر النثر كلاما مثل كل كلام .

.. كل هذا من حيث الشكل .

مصباح علاء الدين

ولكن من حيث الموضوع فالمسألة تحتاج إلى بحث آخر :

هى المعانى ، فما هى المعانى الجديدة التى يجب أن يتناولها الشعر الجديد ؟ .. هل كل موضوع تتناوله الصحف ويتحدث به الناس فى المجالس يصلح للفن الشعرى.

هل موضوعات النثر تصلح أيضا موضوعات للشعر ؟

كل هذه تساؤلات يطرحها الأستاذ الحكيم ، ويطرح معها صورة الشعر كما يجب أن تكون وهو أنه كمصباح علاء الدين يكشف لك عن كنوزك أنت المخبوءة فى أعماق نفسك، وليس بالكيس المملوء الذى يفرغ فى خزائنك الخاوية ، وعلى هذا فالموضوع الذى يعالجه الشعر يجب أن يكون متفقا مع رسالته.

أى أن يكون الموضوع شفافا مضيئا له قوة الكشف على عالم غير محدود ، وليس موضوعا ثقيلاً يملأ الرأس بمادة محدودة .. ليس مجاله أن يكون أخبارا وحوادث وتواريخ ومقولات مرددة ممضوغة مما استهلكها النثر فلم يبق للشعر إلا أن يضعها فى « العلب نظما محفوظا ».

وعلى هذا النحو لايريد شيخ المفكرين توفيق الحكيم تعريفا للشعر بأنه تصوير للحياة - بل بأنه انعكاس الحياة على نفس الشاعر ، فالشاعر مثل القمر لايعطينا الحياة فى أشعتها المحرقة

ووهجها الذى يعمى البصر ، ولكنه يتلقى بعض أشعتها ، ويصفيها من خلال نفسه ويعرضها علينا بعد ذلك ضوءا جميلا مهذبا ، ترتاح له العين ويسبح فيه الذهن ويأنس له القلب ، فيحيى الناس بذلك حياتين ، حياة الواقع الأرضى ، وحياة الفكر العلوى ، وإذا كانت أشعة الشمس تقول للناس : أنظروا وأبصروا ، فإن الشعر يجب أن يكون مثل القمر حين يستلهم أشعة الشمس لالينظر بها الناس ويعبروا ، بل لكى يشعروا (بضم الياء وكسر العين) ، ويفكروا .

وهكذا ، كما يرى توفيق الحكيم ، يجب أن تطرح قضية الشعر فى عمومه وجوهره : هل هو إخبارى إعلامى ، أو أنه إيحائى إشعاعى ؟

كل هذه أمور وما سبقها يثيرها شيخ المفكرين توفيق الحكيم حول قضية الشعر ، جديده وقديمه ، مما يرى معه أنها تحتاج إلى نظر ، إذا فتح ملف هذه القضية المهمة فى حياة البشر : « قضية الشعر » .

فما رأى شعراء النموذج التقليدى ، وشعراء النموذج الحر؟ . .

الشعراء يهاجمون توفيق الحكيم

أثارت هذه الآراء ردود فعل الشعراء الجدد والتقليديين(*)

سنعرض أولا للشعراء الجدد باعتبار أن القضية تهمهم أكثر من غيرهم فيما طرحه الحكيم من قضايا متصلة بالشعر الجديد . .

الشاعر **محمد إبراهيم أبو سنة** يقول :

فى الواقع أن الرأى الذى يطرحه الأستاذ توفيق الحكيم عن عدم أصالة الشعر العربى الجديد ، رأى خطير للغاية ، لأنه أولا يصدر عن الأستاذ توفيق الحكيم ، وثانيا لأنه يجرد الشعراء العرب المحدثين الذين قدموا عطاء فى إطار الشعر العربى الحديث فى هذا القرن ، مما يعد أعظم انجاز لحركة الأدب العربى على الإطلاق ، وذلك بالخروج بالأدب العربى من إطار المحلية إلى إطار العالمية .

ويضيف أبو سنة : ولا أتصور أن الاستاذ الحكيم يصدق نفسه وهو يعلن هذا الرأى - بعدم أصالة الشعر العربى الحديث - لأنه يعلم أن حركة الشعر الحديثة هى حلقة طبيعية فى

(*) مجلة الإذاعة والتليفزيون ٢١ ديسمبر ١٩٨٥ .

حلقات التطور والتجديد والتى شهد العصر العباسى بداياتها. وشهد العصر الأندلسى تفتحها ، حيث خرجت القصيدة من حيث البناء ، من الوقوف على الأطلال ، والغزل ، ثم وصف الراحلة التى يمتطيها الراحل ، انتقلت القصيدة من هذا البناء التقليدى.

ثم حدث تطور أكثر نضجا فى العصر الأندلسى حيث نشأت التواشيح ، والمقطعات ، وبدأ مناخ فنى جديد.

ولكن كل هذا - يقول الشاعر أبو سنة - لايقاس بالتطور الحضارى ، فى عصرنا الحديث والذى فرض على الشاعر بالطبع رؤية بالغة الاختلاف عن رؤى الشعراء السابقين ، لذلك قفزت القصيدة فى عصرنا الحديث ، قفزة جديدة تلائم ثقافة زماننا، ولهذا أحب أن أقول إن الحركة الجديدة للشعر العربى الحديث لايمكن أن تكون مجرد صدى للشعر الأوربى.

فمن المعروف أن بذور هذه الحركة الجديدة بدأت فى ترجمات محمد فريد أبو حديد ، وعلى أحمد باكثير ، وقصائد لبدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، حينما كانوا طلابا ، وصلاح عبد الصبور ، فقد قرأوا نماذج للشاعر

الانجليزى «إليوت» الذى كان يرفع لواء الحداثة فى القصيدة الإنجليزية فى النصف الأول من هذا القرن ، وربما تأثروا بتكنيكه الفنى ، ولكن ليس من الطبيعى أن يكون هذا التأثر المحدود ، وراء هذا الانتشار الواسع لحركة الشعر الحديث .

يستطرد أبو سنة قائلا : إن الوهم قائم على أساس أن المؤثرات الأجنبية موجودة فى أدبنا العربى كله ، وليس فى الشعر وحده ، كانت طاغية خلال هذا القرن (العشرين)، خاصة فى المسرح والرواية . ومع ذلك فنحن لانقول عن أدب نجيب محفوظ أو مسرح توفيق الحكيم ، أنه مجرد صدى للحركة الأدبية الأجنبية .

والعكس هنا غير متطابق بالنسبة للشعر الحديث ، لأنه يلتزم بتفاعيل الخليل بن أحمد ، الذى تلتزم به القصيدة التقليدية ، ولاينكر القافية ، وإنما يتعامل معها بقدر من الحرية الفنية التى تتيح للشعر المعاصر مجالا وآفاقا أوسع للتعبير عن تجربته .

ولا أظن أن الأستاذ توفيق الحكيم ، يرضى عن جمود

الشكل التقليدى الذى كبل الشاعر بقيود زائفة ، وحال دون ابتكار أنماط فنية جديدة ، وأنا أعتقد أن حصاد الشعر الحديث خلال الثلاثين سنة الماضية هو أخطر إنجاز للشعر العربى خلال ألف سنة ، وإن التزم بالمضمون التاريخى والتجربة والموهبة والإيقاع الموسيقى ، ولكنه استفاد من فنون العصر.

ويستكمل الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة رده على الحكيم: أما فيما يتعلق بأن مجال الشعر الحديث هو الدراما والمسرح والقصة ، فإن الحصاد الشعرى القائم الآن أظهر بوضوح أن الشكل الجديد يخدم القصيدة الغنائية كما يخدم الدراما والمسرح والملحمة وكل المجالات الأدبية ، ذلك لأن الشعراء لم يتخلصوا من التفاعيل ، ، وإنما مجرد إعادة تشكيل للإطار الموسيقى وهو تشكيل أتاح للشاعر أن يستخدم أسلوب الحوار والبناء الدرامى ، وتكثيف الصورة واستلهام الأساطير والتركيز بدلا من الاطناب.

أما كون الشعر إعلاميا إخباريا ، او إيحائيا إشعاعيا ، فإن الشاعر فى هذا العصر قد أصبح شاهدا يتحمل مسئولية

المشاركة فى صياغة أحداث عصره ، وهو موقف ربما كان جديدا فى أدبنا .

أما تساؤلات الأستاذ الحكيم عن : هل موضوعات النثر تصلح لموضوعات الشعر أو لاتصلح ، فأعتقد أن كل تجربة تصلح أن تكون تجربة شعرية ، لأنه لايوجد لفظ شعرى ولفظ غير شعرى ، والعبرة بالتناول الفنى للتجربة .

صدام لانريده

نأتى بعد ذلك إلى ما يطرحه الحكيم حول استخدام القرآن الكريم كملهم للشعراء المجددين ، وأنا أتفق معه ، أن القرآن ملهم للشعراء فقط من حيث اللغة ، ولكنى أنزه القرآن عن أن يكون موضوع جدل أدبى كمجرد مصدر لحركة تجديد ، لأنه أكبر من هذا بكثير ، والقرآن نفسه يقول عن الرسول « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ، وهناك موقف فى صدر الإسلام يؤكد حرج المؤمنين إزاء الشعر بعد أن جاء الإسلام ، ولعلنا نذكر قصة « لبيد بن ربيعة » عندما طلب منه عمر بن الخطاب أن يوافيه بقصيدة جديدة ، فأرسل له « سورة البقرة » ، وقال

له : « إن الله قد أغنانا بهذا » .

ونحن كشعراء تأثرنا جميعا بلغة القرآن ، وأنا على وجه التحديد حفظت القرآن فى طفولتى قبل أن أدخل الأزهر ، وكذلك أحمد عبدالمعطى حجازى ، وكمال عمار ، وكثير من شعراء جيلى ، والقرآن بكل تأكيد يدخل فى نسيج البناء الشعرى العربى كله ، لأنه العصب اللغوى لأدبنا كله والشعر فى المقدمة ، ولكن قضية الأدب قضية خطيرة إذا ربطناها بالقرآن ، وهو كتاب مقدس حيث سينشأ موقف يدفع الشاعر إلى الخوف من التطور وعدم الاستجابة الحرة للعصر الذى يعيش فيه .

والأستاذ الحكيم ، بهذا يضيف قيدا جديدا لايساعد على الإطلاق فى الارتقاء بحركة الشعر والأدب ، لأنه يوقعنا فى صدام مع نمط لغوى لايمكن التحرر منه لأنه نمط مقدس .

ويتفق الشاعر **أحمد سويلم** عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة مع الشاعر أبو سنة ، فى رده على الأستاذ توفيق الحكيم : ليس صحيحا أن الشعر العربى الحديث رافد من روافد الثقافة الغربية ، وأنه معدوم الجذور فى تاريخ الشعر العربى ، فمن يقرأ تاريخ الشعر العربى قراءة متأنية يجد أن ملامح التطور والتجديد كانت تصاحب دائما أى تطور فى المجتمع.

وقد بدأ التطور والتجديد حتى فى العصر الجاهلى فى أول ثورة متمردة على الشعر والحياة ، قادها جماعة الصعاليك ، حيث كانوا يكتبون المقطوعات الشعرية القصيرة التى كانت تعبر عن موقف واحد من مواقف غزوهم ، فتمردوا بذلك على القصيدة المطولة كثيرة الموضوعات.

ثم حينما جاء الإسلام كأحدث ثورة اجتماعية ونفسية وعقائدية ، كان لابد أن يكون له موقفه من هذه الثورة ، وتجلى فى العصر الإسلامى فى اتخاذ الجماعة الإسلامية مضمونا بديلا عن العصبية القبلية ، كما دخلت مضامين

كثيرة إسلامية وحياتية ، إلى الشعر لم تكن موجودة فى العصر الجاهلى.

وقد انقسم الشعراء فى صدر الإسلام إلى أكثر من فريق عبر بشعره من الجاهلية إلى الإسلام ، وأحدث تطورا فى شعره ، وعلى رأسهم « لبيد بن ربيعة » وفريق وقف إلى جانب الرسول ﷺ ينافح عن دعوته ومنهم « حسان بن ثابت » و « كعب بن مالك » ، وقد أكدوا فى شعرهم هذا التجديد والاختلاف الذى أحدثه الإسلام ، أما الفريق الثالث فلم يكن له علاقة وطيدة بالشعر ، ولكن أنطقته الفتوح الإسلامية ، فكتبوا الأبيات القليلة جدا من بحر الرجز ليعبروا عن انتصار ، أو موقف من الأعداء ، أو غير ذلك من المواقف السريعة التى ألزمتهم بها الفتوح الاسلامية.

وحينما تطور الزمن أخذ كل شاعر يفكر كيف يجدد نفسه، وعلى رأس هؤلاء الشعراء ، أبو العتاهية فى افتتاحية القصائد ، ونبذ الافتتاحيات التقليدية ، وأحدث ثورة تجديدية ملحوظة فى الشعر العربي.

وسار على منواله وأضاف كثير من الشعراء أمثال أبى نواس

والمتنبي ، وغيرهما إلى أن بدأت حركة الإحياء فى العصر الحديث على أيدى البارودى ، وبلغ أحمد شوقى بالقصيدة التقليدية مستوى من الإبداع لايستطيع أحد بعده أن يبلغه ، وكأنه يقول للذين يأتون من بعده إفعلوا شيئا آخر.

منذ الفراعنة

وهذا ما حدث ، حيث توالت جرعات التجديد فى شكل ومضمون القصيدة إلى أن وصلت تلقائيا إلى الشعر الحديث ، وبهذا فإن جذور التجديد فى الشعر العربى عميقة ممتدة لها تاريخ عربى خالص ، وإذا كان الشعراء قد تثقفوا أو أضافوا إلى ثقافتهم ثقافة غربية ، فهذا يحمد لهم ، ولكنها ليست كل شئ لدى هؤلاء الشعراء.

ونحن لانستطيع أن نقول أن الشعر العربى الحديث صدى للحركة الشعرية الأوربية الحديثة ، لأن الشعر الحديث ليس ابتكارا أوربيا ، و إنما إذا شئنا الدقة التاريخية ، فقد كان للفراعنة السبق فى معرفة ما نسميه بالشعر الحديث ، وفى الأدب الفرعونى القديم ما يدل على ذلك.

ويضيف سويلم:

أما ما كتبه الأستاذ توفيق لحكيم كشعر استلهمه من القرآن الكريم ، فهو تقليد ماسخ للقرآن ، لأن القرآن ليس شعراً ، ثم إن هذا النموذج الذى أتى به فيه خلل كثير فى الوزن ، فالشعر ليس إيقاعات فارغة ولكنه إلى جانب ذلك امتزاج بمضمون حياتى له قيمة ، وله إضافة فى وجدان المتلقى ، وأنا أعتقد أن القرآن يمثل ملهما جيدا للشعر العربى لو أقبل الشعراء عليه .

ولقد جمعت بينى وبين الأستاذ الحكيم جلسة ناقشت فيها معه قضية أصالة الشعر الجديد ، ولكن للأسف الشديد ، وجدت أستاذنا لايتابع كل ما يكتب فى الشعر الحديث ، بل وجدته يقرأ فقط ما ينشر فى صفحة الأدب يوم الأحد بالأهرام، على أنها نماذج الشعر الحديث ، فقلت له : إن ما ينشر نظم وليس بشعر .

وأنا أعتقد أن الشعر الحديث يمكن أن يكون له أكثر من أفق ، نستطيع أن نكتب به القصيدة الدارجة والمسرح الشعرى، والملحمة الشعرية ، والكتابة للطفل ، لأن الشعر

الحديث أكثر قدرة على استخدام معطيات ألوان الفنون

الأخرى .

ومن ناحية الوجدان وتسجيل الأحداث شعرا ، وعما إذا كان الشعر إخباريا إعلاميا أو إيحائيا إشعاعيا - يقول **سويلم** - قد يكتب الشاعر برؤية سياسية أو اجتماعية لكنه لايدخل إلى السياسة ولا إلى الاجتماع .

ولاخوف على الشعر الحديث من العودة به إلى الشعر القديم كما يقول الأستاذ الحكيم ، لأن الشعر الحديث شعر أصيل بجذوره العربية ، وكثير من مبدعيه يؤكدون مسيرته عن قدرة وعطاء .

* * *

أبوة الشعر

ومازالت الردود على الأستاذ توفيق الحكيم تتوالى(*) يتحدث الشاعر **فاروق شوشة** ، فيقول :- لا أعتقد أن توفيق الحكيم كان جادا حين أطلق هذا الكلام ، وإنما هى محاولة جديدة من محاولاته - التى لاتنتهى - لإثارة الجدل وجذب

(*) مجلة الإذاعة والتليفزيون ٤ يناير ٨٦ .

الانتباه ، ولست أعتقد أن هذه النماذج القرآنية - من بعض السور الكريمة- تشكل نقطة انطلاق لموسيقى الشعر الجديد ، أو تحمل معالم الأبوة الشرعية لهذا الشعر.

فهو مخاطبة رفيعة للنسق الموسيقى عند العربى المستقبل لنزول سور القرآن الكريم وآياته ، ومن هنا كانت وقفة الاحساس الكامل بالعجز ، عند العربي فى وجه هذا الإعجاز البيانى فى النسق القرآنى.

كذلك فلست أرى أن شعرنا الجديد وليد التأثر بإليوت وغيره من شعراء الغرب ، فمهما بلغ التأثر بمثل هذه الروافد الأجنبية ، فإنه لايخلق حركة شعرية بهذا العمق والشمول ، والقدرة.

ولذا ، فإنى أرى أن أبوة الشعر الجديد الحقيقية ، تتمثل فى القصيدة الكلاسيكية ، فى تطورها واستمرارها ومحاولتها الدائبة - عبر العصور المختلفة - للتشكل والتزيى والتحول ، ورصد هذه التحولات فى مسيرة القصيدة العربية بدءا من العصر العباسى وانطلاقاً إلى عصرنا الحاضر - كفيل بالتعرف على قسمات هذا التجديد وملامح هذه الثورة المستمرة ، وعياً

وعروضا ونغماً وبناء ، وصولا إلى حقيقة القصيدة الجديدة ، التى لن تكون آخر صيغ القصيدة العربية ، وإنما بدورها وطبقا لمنطق الإبداع والتجاوز - حلقة فى سلسلة ، وخطوة فى مسار .

ويتساءل **شوشة** : ولست أدرى لماذا نجهد أنفسنا فى البحث عن جذور للقصيدة الشعرية الجديدة ، خارج إطار الشعر العربى ذاته ؟ مرة بالتغريب وتحميل « إليوت » عبء هذه المسئولية أو هذا الشرف ، ومرة أخرى كما يفعل الحكيم اليوم فى بعض صيغ القرآن وفواصله الموسيقية .

إن قصيدة الشعر الجديد بانتمائها إلى شجرة الشعر العربى ، لاتشغل نفسها بالبحث عن شهادة جديدة بالشرعية ، ولاهى فى حاجة إلى أبوة - شرقية أو غربية - خارج إطار الشعر العربى ذاته ، التى هى ملمح جدته وعصريته ، وقدرته على المغامرة والتجاوز ، وعدم الثبات داخل أطر تفقده حيويته ، وامتلاءه بالنفس الحاد والمتوهج حرارة الإنسان وتوهجه ، وحرارة إبداعه المعانق لرحلة الحياة والوجود .

موسيقى البيت

ويرى الشاعر **فاروق جويدة** : أنه إذا كان كان أستاذنا الكبير توفيق يقصد بقوله أن ما يعرف بالقصيدة النثرية

ومحاولات التحطيم والتكسير فى شكل الشعر العربى التقليدى ينذر بالعودة إلى الشعر التقليدى ، فأنا معه ، وأما إذا كان يقصد شعر التفعيلة « الشعر العربى الحديث » وهو فى رأيى ملتزم بالإطار التقليدى للقصيدة العربية ، فليسمح لى أن أختلف معه .

ففى اعتقادى أن قصيدة التفعيلة ليست خروجا على الشعر التقليدى لأنها تلتزم بالتفعيلات الخليلية التى درج عليها الشعر العربى منذ مئات السنين .

والتغير الوحيد الذى حدث هو فى عدد التفعيلات وشكل القافية ، وإن كنت واحدا من الذين يؤمنون بضرورة القافية فى القصيدة الشعرية فى أى شكل من الأشكال ، لأن البعض ممن يحاولون الاجتهاد فى حركة الشعر الحديث قد أهملوا تماما . جانب القافية ، وكان تركيزهم على موسيقى البيت .

أما ما سمى بالقصيدة النثرية ، فمن الممكن أن تسمى أصحابها أى شئ آخر غير أن يكونوا شعراء .

فأنا أرى أن هذا قصور يحاول أن يرتدى وجه الحق والحقيقة، يضاف إلى هذا أن الأخطر من ذلك هو موجة

الغموض ، التى تجتاح الآن القصيدة العربية ، وهى موجة مستوردة ، لأن الشعر العربى شعر له جذوره وله تاريخه ، وليس وليدا جديدا مثل القصة القصيرة أو الرواية أو المسرح ، فهذه الفنون جميعها لم يتجاوز عمرها مائة سنة فى تاريخ الأدب العربى ، أما الشعر فعمره أكثر من ١٥٠٠ سنة .

وخوفى على الشعر يرجع إلى سبب آخر هو أن ضرب الشعر العربى فى حقيقته ضرب للغة العربية فى حقيقتها ، وضرب للقرآن ، وهنا يصبح للقضية أكثر من جانب ، وتصبح المشكلة أكثر تعقيدا .

ولكننى - يقول **جويدة** : أطمئن أستاذنا توفيق الحكيم أن مياه النهر أكثر من أن تحتجزها بعض الطفيليات التى قد يتصور البعض أحيانا أنها قادرة على أن تغير مجراه ، فأنا لا أخاف على الشعر العربى ولا أخاف على اللغة العربية من هذه النتوءات التى قد تظهر هنا أو هناك ، والشعر قادر على أن يتخلص من كل الشوائب التى يمكن أن تقف فى مجراه أو تعترض مسيره ، كما أن الزمن كفيل بأن يسقط كل عبث وأن يبعد كل رخيص .

وأنا مع الأستاذ الحكيم بأن الشعر إيمائى إشعاعى ، إخبارى إعلامى ، وأنا موافق أيضاً على قوله بأن المنطلق الوحيد لحركة الشعر الحديث هو القصيدة الدرامية أو المسرح الشعرى ، وأنا شخصياً لم أستخدمه إلا فى هذين الغرضين.

أما استلهام القرآن فى الشعر الحديث كما يراه أستاذنا الحكيم فلا تعليق لى عليه.

الأسبقية

أما الشاعر **فتحى سعيد** فيعلق على ما قاله الأستاذ الحكيم بقوله:

لا .. هذا كلام يفتقد المنطق ، ويناقض صيرورة الشعر العربى وتراثه الممتد عبر ١٥٠٠ سنة هى عمر القصيدة العربية منذ شدا بها الشعراء فى العصر الجاهلى قبل الإسلام ، بينما عمر الشعر الغربى ، والإنجليزى خاصة لايزيد على أربعة أو خمسة قرون ، أما الأسبقية هنا فهى للقصيدة العربية ، والتراث يفرض على سائر أشعار الشعوب السبق والتميز.

ولم يكن الشعر الجديد إلا حفيدا للشعر العمودى العربى الأصيل الذى شهد موجة تجديدات تضارع شعر التفعيلة ،

فقد كسر العرب العمود الشعرى ، وأضافوا البحور الغنائية الراقصة ، ثم جاءت الموشحات نوعا من التجديد ، أثار لغطا فى حينه ، وظل الشعر يتطور إلى أن أخذ صورته فى شعر التفعيلة فى الأربعينيات . وإن كان بعض الشعراء المجددين قد تأثروا «بإليوت» و« كلودج» فى الشعر ، إلا أن تجديدهم كان نابعا من أعماق عروبتهم الشعرية ، ومن جذور تراثهم الممتد طيلة هذه القرون حتى أبدعوا الشعر الجديد ، وبالتالى فقول الأستاذ الحكيم مردود عليه .

أما القرآن فهو مصدر ثرى جدا للشعراء ، لأنه إعجاز يقوم اللسان ويشحذ البيان ويملأ وجدان الشاعر بحلاوة الموسيقى والإيقاع ، وقد أضاف القرآن للشعراء الذين حفظوه ملامح خاصة أثرت شعرهم .

أما تقليده - يؤكد فتحى سعيد - ، فهو كتاب لايأتيه الباطل من خلفه أو من أمامه ، وهو إعجاز من التنزيل لايمكن مجاراته ، ولكن يمكن الاغتراف من منابعه ، والنموذج الذى ساقه الأستاذ الحكيم نموذج نثرى لايوجد فيه إيقاع الشعر ولايرقى إلى كلمات القرآن الكريم .

وأُذكره بمحاولاته فى « نشيد الأنشاد » الذى حوله إلى تراتيل جميلة فُتنا بها فى سن الشباب .

وحديثه عن مجالات استخدامات الشعر الحديث فى الدراما والمسرح ، فهذا صحيح ، لأن تفعيلات الشعر الجديد تتيح انطلاقا أكثر ، بجانب أن هذا هو تطور لابد منه ويناسب مقتضيات العصر ، لأنه لايستطيع قارئ هذا العصر أن يقرأ المعلقات مثلا أو يسمعها ، ولكنه يستطيع أن يقرأ ديوانا من الشعر يتميز بالبساطة والموسيقى يمس وجدانه فى زحام الحياة الآن ، لأن الشعر رؤية عليا ورؤية خاصة ، وهو أعلى مستويات الفن قيمة ، حتى وصف القرآن بأنه ليس شعراً ، ووصف الرسول بأنه ليس شاعرا ، وذلك اعتراف بتميز الشعر .

فالشاعر حدقة واعية تسجل الصور أدق مما تسجلها الكاميرا . . وكلما اكتشف الشاعر ذاته وتجاوز عالم الدهشة والبراءة كلما جاء شعره على نفس المستوى ، حتى قيل : إن الشاعر نبى وأن له رؤية ووحياً .

ولايوجد شئ اسمه شعر النثر ، لأن النثر له فرسانه مثل جبران والرافعى والمنفلوطى والزيات ، ولايقال عنهم شعراء ،

أما الشاعر فهو نبض القلب معزوفا على إيقاع الروح ، فلا يجب الخلط بين الاثنين ، كما أن القصيدة النثرية المسماة خطأ بذلك لاتعنى بانتشارها العودة إلى الشعر العمودى .

لم تخرج عن النطاق

ويرى الشاعر **مهران السيد** :

رواد هذا الشكل الجديد قد استفادوا بالقطع من الشعر الأوروبى .

ولكن إذا أردنا أن نقول أنه تقليد للشعر الأوربى فقد كان يجب أن يقوم على النبر والإيقاع ، وما إلي ذلك من خصائص الشعر الأوربى .

ولكن المدرسة العربية الحديثة ، اعتمدت على التفعيلة الخليلية لبناء القصيدة الجديدة ، وهى بهذا لم تخرج عن نطاق الشعر العمودى الموروث ، أيضاً لايمكن أن نطلق صفة على أى نمط من أنماط الشعر بأنه أوربى أو عربى إلا من خلال شكل القصيدة فقط ، أى الشكل العمودى فقط .

والشعر الجديد أصبحت له السيادة فى الساحة ، ذلك لأن الشكل العمودى استنفذ أغراضه ، ولاعتقادى أن الشعراء العظام قد غابوا بالفعل.

وأعتقد أن هذا جزء من طبيعة العصر الذى نعيشه ، فلا يوجد من يحتل مكان أو يظفر بقيمة الكلاسيكيين ، ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى اعتقادى فى كل أنحاء العالم.

والذى يحدد عمر الجنس الأدبى هو مدى استيعابه لهموم وقضايا الإنسان ومدى تمثله لقضايا شعبه وبلاده ، لأننا نعيش زمانا لايمكن مثلا أن تعيش فيه الرومانسية ، لأنها فى ظروف مثل ظروف مجتمعنا تصبح شديدة الغربة ، وترفا لامعنى له ، ويمكن الاستغناء عنه ، كما ننادى بالاستغناء عن الكماليات المادية.

كما أن القصيدة الجديدة أكثر اقترابا وتلاحما مع نفسية المتلقى ، وقد مدت جناحيها إلى آفاق أعتقد أنه لم تصل إليها أو تطرقها القصيدة التقليدية ، وقد يكون ذلك لتغير الظروف ، وقد يكون ذلك من ناحيــة قـدرة الشكل الجـديد على

استيعاب الأفكار بدقائقها وتفصيلاتها.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المسرح الشعرى يعد نقلة بعيدة نقل إليها الشعر الجديد، المسرح.

الموجة الجديدة

أما الموجة الجديدة التى يدعو إليها أدونيس الذى يسعى كما يدعى إلى خلق ما سماه بالحساسية الجديدة، والتى تعنى فى الأساس رفض الهيمنة القديمة المتمثلة فى عمود الشعر العربى، ثم اندفع إلى أبعد من ذلك إلى رفض صنمية القصيدة الجديدة القائمة على التفعيلة الخليلية، ثم نادى باعتماد «المحكيات» بمعنى اللهجات المحلية، أعتقد أنه عند هذه النقطة تتضح لنا المهمة الأساسية له، وهى ضرب اللغة العربية فى كافة أنحاء الوطن العربى، وذلك إذا ما تمت سيادة هذه اللهجات المحلية.

وهذا يعنى تفكيك هذا الوطن الكبير، ودفعه إلى الانعزال وتكريس الإقليمية بتفكيك هذا الوجدان الجمعى، وهو الرابط

الوحيد لهذه الأمة وبالتالى لايكون لديها السلاح الواحد الذى يجمعها فى مواجهة كل التحديات المحيطة به .

ويختتم **مهران السيد** رؤيته بقوله :

ولعل الأستاذ الحكيم قد أدرك ذلك فراح يدعو إلى استلهام القرآن فى الشكل والأسلوب ، بالنسبة للقصيدة الجديدة ، على اعتبار أن القرآن هو الذى يحمى اللغة العربية من كل التحديات وبالتالى إذا لجأ الشعر اليه ، فإنه يحمى نفسه به .

واستلهام معانى القرآن فى الشعر ، أمر وارد باستمرار ، أما أن أستلهم القرآن ، فالقرآن ليس شعرا ، ولكنه لغة سماوية أعجزت أعتى فصحاء العرب ، ومحاولة تقليده ، أعتقد أنها محاولة غير صائبة بالمرة ، وليست واردة .

* * *

جاء (*) الآن دور شعراء القصيدة التقليدية أو الأصلية كما يقولون ليشاركوا برأيهم حول القضيتين الأساسيتين فى ملف الشعر والشعراء الذى فتحناه مع شيخ المفكرين توفيق الحكيم

(*) مجلة الإذاعة والتليفزيون ١٨ يناير ١٩٨٦ .

حول البحث عن جذور يستند إليها الشعر الجديد الذى قال الحكيم إنه أوربى الصوت ، مما ينذر بالعودة إلى الشعر التقليدى ، وهو لهذا يقترح النظر فى القرآن الكريم واستلهام شكله وأسلوبه لإيجاد تلك الجذور المفقودة للشعر الجديد ، كما نختتم الملف برد الناقد الكبير د. عبدالقادر القط.

كلام خطير

يتفق الشاعر **محمد التهامى** مع المعنى الذي ورد برأى الأستاذ الحكيم وهو تأثر الحركة الشعرية الجديدة تأثرا كبيرا بالشعر الأوربى وخاصة شعر إليوت بالذات وخاصة قصيدته «الأرض الخراب» التى بمزيد من الأسف تشيع تعابيرها الشعرية فى قاموس عدد كبير جدا من الشعراء المجددين ، وأنا هنا لا أرفض اختلاط الثقافات وتأثر بعضها بالبعض الآخر ، ولكن حين يصل الأمر إلى مرتبة النقل يصبح ذلك عيبا.

وشعر التفعيلة قد توفر عليه عدد من الشعراء المجددين النابهين ، وتحمس له عدد كبير جدا من النقاد ، وفى غمرة الحماس للدعوة الجديدة ، هاجموا الشعر الخليلى « التقليدى»

وكان ذلك عيبا كبيرا أيضا .

وبعد أن خطا الشعر الجديد بعض الخطوات التى يمكن أن يقال أن لها وزنا شعريا إلا أنه لجأ إلى المنفذ الطبيعى له وهو المسرح ، ثم توقف الآن أو كاد حين انطلق الدعاة الجدد إلى القصيدة النثرية ، ووقف النقاد منهم موقفا مضادا ، وكانت النتيجة أن الحركة النقدية جانبها الصواب لأنها فى هذه الحالة تكون قد هزت الشعر عامة سواء كان شعرا تقليديا أو جديدا، لأنه سبق لهذه الحركة النقدية أن هاجمت الشعر الخليلى ورحبت بالشعر الجديد ، ثم عادت لتهاجم الشعر الجديد مرة أخرى ، وفى هذا التضارب خطر على الشعر عامة ، وإن كان هذا بوجه عام يبشر « ولا أقول ينذر كما قال الحكيم » بالعودة إلى الشعر الخليلى .

نأتى إلى حديث توفيق الحكيم - يضيف التهامى - ودعواته للشعراء المجددين ، إلى النظر فى تجديدهم إلى القرآن ، بدلا من احتذاء شعر إليوت وغيره ، وهذا الكلام خطير وميسور جدا الرد عليه ، لأن هناك إجماعا ، بنص القرآن وكل المؤمنين والدراسات

القرآنية ، أن القرآن ليس بشعر كما يقول الله فى القرآن « وما هو بقول شاعر » فلماذا نتمسح فى القرآن وما علاقة القرآن بالشعر ، إن هذا نوع من العبث ، حاوله ، كفار قريش عندما حاولوا أن يستلهموا من القرآن آيات يقلدونها . إننى أرجو رجاء ملحا البعد عن القرآن .

نعم هـو ملهم

أما الشاعر **إبراهيم عيسى** فيؤيد : ما يقوله الحكيم من أن الشعر الحديث هو صدى للصيحة الحديثة فى الشعر الأوربى ، وإذا عاد الشعراء الجدد إلى الشعر الأصيل فهذا معناه عودة الإنسان العربى إلى أصله وجذوره وحقيقته ، بعد اغتراب .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ففيما يتعلق بالقرآن ، فهو ملهم للشعر فى صوره وأخيلته وقصصه ، والاستعمال لايكون مباشرا ، ولكن عن طريق الرمز والايمان .

ويؤكد الشاعر **عبد المنعم الأنصارى** على أن حركة الشعر الحديث قد أضرت بحركة الشعر العربى وأوقعت نفسها فى مأزق لاتعرف كيف تخرج منه ، إذ أن هذه الحركة قد أوقعت نفسها فى الإغراب والتعتيم والغموض الذى يستحيل على الفهم ، وأنا متفق مع الأستاذ توفيق الحكيم أنها حركة بلا

جـذور لأنهـا نزعـت نفسـهـا مـن التراث الـعربى ، واسـتـمـدت ينابيعها من شـعر الغرب ، وهو شعر يعبر عن شعوب قد بلغت مسـتـوى حـضـارى يموج بالتـرف والضـجـر والسأم ، مما يـجعله متعارضاً مع منابعنا الواضحة البناءة .

وأنا أيضا متفق مع الأستاذ الحكيم فى أنه يمكن أن نستلهم من القرآن صورا عديدة ولكن لانقلده .

وبوجـه عام نحـن الشـعراء القـدامى ، نقـبل الـشـعر الحـديـث كـشكل يـضـاف إلى الأشكال الشـعـرية ، وليس هـو البـديل للأشكال المتـعـددة بما فـيـهـا من مـوشـحـات ومـقطعـات ومجزئات . . الخ

والشـعر الذى يقـولون عنه إنه جـديد ليس جـديدا ، إذ أنه طريقة تقوم على التفعيلات الخليلية ، التى يقوم عليـها الشعر العربى ، فهم لم يأتوا بموسيقى جديدة ولم يضيفوا شيئا عليها وإنما أنا أراهم كـمثل الذى في يده آلة موسيقية فيهـا عشرون وترا فأهمل الأوتار العشرين وعزف على ثلاثة أوتار فقط .

وأستطيع أن أقول أن الشعر الحديث جزء من الشعر القديم ، ولكـن بشكـل آخـر ، والنـمـاذج الجـيـدة قـليلة . والأصـوات المتـفـردة أقل ، ولاشك أن هذا يـنذر بالعـودة إلى الشـعـر الذى

تعرفه العرب .

ماذا قال العميد ؟

ويبدى الشاعر **إسماعيل عقاب** أيضا اتفاقه مع آراء الأستاذ الحكيم مضيفا ، أن الشعر الجديد حينما وجد فى أوربا وجد لكى يكون لغة للمسرح وليس من أجل القصيدة المفردة ، ولكى يظل الشعر الجديد مواكبا للعصور التالية عليه ألا يترك حضن المسرح ، فهذا يحفظ له الخلود والبقاء .

والقول بأن الشعر الجديد هو حلقة من حلقات التطور ، قضية مختلفة ، لأن الشعر الحر فن غربى نقل إلى العرب ، وأما الادعاء بأن الشعر العمودى يلجأ إلى الافتعال حتى تكتمل أبيات القصيدة وزنا وقافية ، فإن من يدعون ذلك يقولون من منطلق عجزهم عن امتلاك الموسيقى الشعرية ببحورها المتعددة .

أصل إلى اقتراح الأستاذ الحكيم بخصوص استلهام القرآن فى التجربة الشعرية ، فأقول : أن القرآن فيه إعجاز فى الصياغة العربية والبيانية ولذا فهو معلم للأدباء ، فى فن الصياغة العربية السليمة ، والاستشهاد به فى القضايا اللغوية والنحوية ، كما أن فيه من البيان ما يمكن أن يثرى تجربة أى مبدع أدبى .

ويؤكد الشاعر **سعيد فايد** ـ الذى يكتب الشعر التقليدى والشعر الحديث ـ أن الشعر العربى التقليدى باق ما بقيت اللغة العربية كأسمى فن من فنونها ، ومع العلم بأنه لاصلة للشعر ، بالقرآن الكريم من بعيد ولامن قريب ، وتحضرنى فى ذلك عبارة لعميد الأدب العربى طه حسين يقول فيها « إن اللغة العربية ثلاثة أقسام : شعر ونثر وقرآن » .

أما الشعر الجديد أو الحديث كما كان يسمى فقد عجز أصحابه عن أن يرسخوا أقدامهم فى تربة الثقافة العربية ولا أن يضيفوا جديدا يحسه القارئ العربى كما أحس من قبل عند الأندلسيين والمهجريين ، بل لقد بدأت مدرستهم فى الانقراض بعد موت صلاح عبدالصبور وأمل دنقل ، وغيرهم .

***

مرحلة معدومة

ونأتى إلى فصل الختام فى ملف الشعر والشعراء الذى فتحه شيخ المفكرين توفيق الحكيم ، وذلك بالحديث مع الناقد الكبير الأستاذ الدكتور **عبدالقادر القط** الذى يقول :

نحن رحبنا بحركة الشعر الجديد لأننا كنا ندرك أنها جاءت وليدة تطور اجتماعى وحضارى كبير ، حدث هذا فى المجتمع

العربى بعد الحرب الثانية ، وأنها لم تكن مفاجأة أو طفرة ، بل سبقتها تجارب كثيرة فى الشكل الشعرى منذ بداية الحركة الرومانسية ، إلى أن بدأت هذه الظاهرة تأخذ شكلها الفنى الجديد .

وقد ساعد على قبول نتائج هذه الحركة أن روادها كانوا مثقفين ثقافة واسعة أصيلة بالتراث ، وبالتراث الشعرى العربى القديم ، وكان قد بدأ كثير منهم إبداعهم فى شكل القصيدة العربية التقليدية على مستوى فنى مرموق ، مما يدل على أن هذا التحول لم يكن كما يقال أحيانا عجزا عن الإبداع فى الشكل العربى القديم ، وقد مكنتهم هذه الصلة بالتراث من أن يضمنوا شعرهم الإيقاع الأساسى للشعر العربى وينتفعوا بكثير من صيغه الشعرية .

وحين تطوروا بعد ذلك لم يبعدوا كثيرا عن روح الشعر العربى العام .

أما هذه المرحلة فتعد مرحلة جديدة تماما فى رأيى تكاد تكون معدومة الصلة بالتراث العربى ، وضعيفة الصلة بمرحلة رواد الشعر ، وأصحابها يعدون أنفسهم حركة شعرية جديدة تماما يطلقون عليها مصطلحهم المعروف « الحساسية الجديدة »

ولا أدرى لماذا يكون الشعر وحده يتميز بهذا الاتجاه دون سائر الفنون الأخرى ، ولذلك فإن الشعر فى مرحلته الأخيرة قد ضاقت دائرة متلقيه إلى حد كبير حتى أصبح الشعراء فى واد ومحبو الشعر فى واد آخر.

طبيعة المتلقى

ولا أعتقد - د. القط مضيفاً - أن هذا الحال التى وصل إليها الشعر الحر تنذر بالعودة إلى الشعر التقليدى ، لأن الشعر مثل أشكال الفن والأدب لايمكن أن تكون ثابتة على مر العصور ، كما أن الشعر التقليدى أو العمودى الجيد منه أصبح نادرا إلى حد كبير ، وهذا ما يدفع إلى الإحساس بأن الشعر يكاد ينقرض فى حياتنا الفنية إذا استمرت الحال على هذا الوضع ، فليس هناك إلا نماذج قليلة جدا من الشعر العمودى ، فيها روح المغامرة لطبيعة التجربة واستخدام اللغة ورسم الصورة الشعرية والإيقاع العام ، وليس فى الشعر الحر فى مرحلته الأخيرة ما يغنى متلقى الشعر عن هذا الشعر العمودى الذى يناسب روح العصر ، فإذن كيف السبيل إلى الخلاص مما وصل إليه الشعر الحر ؟

إن الخلاص لايكون بالعودة إلى الشعر التقليدى ، ولكن

بإعادة الارتباط بالتراث القديم ، وإدراك أسرار اللغة العربية وأساليبها ، ثم الخروج من هذا التراث ، وثمار الأدب العربى الحديث ، بمفهوم جديد للشعر يرضى حاجات المرحلة التى نعيش فيها ، ولايتجاهل طبيعة المتلقى ، بدعوى أن التجربة الشعرية تقتضى مثل هذا الشكل دون نظر على الإطلاق لطبيعة المتلقى .

كما أن الشكل المسرحى هو الذى يمكن أن يخرج الشعر الحر من هذه الدائرة المغلقة ، أو هذا الطريق المسدود الذى يسير فيه ، والتى يمكن أن تستغل فيه إمكانات الشعر الحر بكل طاقاته .

أما استلهام القرآن ، فأنا اعتقد أن القرآن هو بمعزل عن الشعر ، وأنه إذا كان بعض الشعراء قد انتفعوا ببعض أساليب القرآن ، فقد كان هذا فى مرحلة تعود إلى عصر إسلامى تأثرت اللغة العربية فيه كلها بروحَ القرآن ، لكن طبيعة التجربة العصرية ، وماجد على اللغة من تطور فى أساليبها وفى دلالات ألفاظها وفى صورها ، يجعل من العسير جداً على الشعر أن يحتذى أساليب القرآن .

والواقع أن هذه الصـــورة الطريفـــة التى يظن الحكيم أنه استلهم فيها القرآن هى صورة شعرية ركيكة بعيدة كل البعد

عن سورة العاديات ، وقد يكون هو نفسه فى لحظة إبداعية ظن أنه يستلهم الآيات الكريمة ، لكن ما أتى به شئ لاعلاقة له إطلاقا بسورة العاديات .

هل يموت ؟

وليس هناك ما يسمى بالمعانى فى الشعر ، إنما هناك ما يسميه النقد حاليا بالتجارب الشعرية ، والمهم أن تتحول التجربة من واقع إلى صورة فنية ناجحة لذلك الواقع ، بحيث تصبح كما يقال فى النقد الجديد كيانا فنيا مستقلا عن ذلك الواقع الذى نشأت فيه ، وليس هناك ما يسمى بالموضوع الشعرى أو غير الشعرى ، وإنما هى قدرة الشاعر على تحويل الواقع إلى صورة فنية ، وكل موضوع ممكن تحويله لعمل فنى ناجح .

والشعر رصد للواقع والحياة من خلال وجدان الشاعر وتصوير مظاهر الحياة وواقعها من خلال موهبة فطرية أولاً وسيطرة على الشكل الفنى واللغة ثانيا ، فليس هناك مصباح علاء الدين - كما يقول الحكيم - ولا كيس جواهر وإنما هناك حياة وموهبة وثقافة ومراس .

ويؤكد **د. عبدالقادر القط** : أن طبيعة الشعر فى مرحلته

الأخيرة قد صرفت الناس عن الإقبال عليه ، لطبيعة العصر الذى نعيش فيه ، من ناحية الاهتمام فى عالمنا الثالث بالاتجاه العلمى بعد أن أدركنا فجأة تخلفنا فى هذا المضمار ، ثم غلبة فنون قوية أخرى على الشعر أصبحت هى فنون العصر كالرواية والقصة ، والمسرحية وبخاصة من خلال الوسائل الإعلامية الحديثة كالإذاعة والتليفزيون ، وأصبح الإطار التمثيلى بوجه عام هو قالب العصر الآن . كما أن تعليمنا العام الآن لايقدم إلى النشء المعرفة الدقيقة باللغة العربية وأسرارها ، لإبداع الشعر وتذوقه .

لذلك تظل الموهبة الشعرية كامنة لاتجد أداة للتعبير عن نفسها ، ويظل حب الشعر أيضا ميلا فطريا لايجد من الثقافة ما تصقله وتؤهله للإدراك الواعى والتذوق الصحيح ، لكن الشعر كروح وتعبير عن وجدان الانسان لايموت .

* * *

وتعليقا على هذه المناقشات كتب توفيق الحكيم ردا قال فيه :

(*) أثار الشعراء المحدثون ضجة حول ما أبديته من رأى فى الشعر الحديث فهاجمونى دون أن يحاولوا فهمى . والحقيقة أننى أساندهم ولا أهاجمهم ، ولكنهم اندفعوا دون وعى يحملون علىَّ حملة شعواء ، وسأحاول مرة أخرى أن أوضح لهم وجهة نظرى .

حينما تحدثت عن ضرورة أن يبحثوا لهم عن جذور عربية عوضا عن الجذور الأجنبية المتمثلة فى إليوت ، فقد كنت أقصد أن أعطيهم سندا من القرآن الذى سبق إليوت بآلاف السنين ، وفى القرآن كل المزايا التى تجعله سندا لشعراء القصيدة الجديدة فى قضيتهم ، وليس القرآن كمضمون لأن المضمون إلهى لايمكن الدخول إلى منطقته . أما الشكل فهو الذى أقصد أن يحذوا حذوه خاصة السور المكية التى بها الموسيقى والإيقاع والتحرر من الوزن والقافية .

فموقفى إذن أننى لست معارضا للتجديد الذى ظهر فى القصيدة العربية بما نتج عنه ما يسمى بالشعر الحر ، فأنا مع التجديد ولست ضده ، ولكن الذى أعارضه هو أن يكون هذا التجديد نابعا من منابع أجنبية وغربية خاصة وأن بعض شعراء

(*) مجلة الإذاعة والتليفزيون ١٥ فبراير ١٩٨٦ .

القصيدة الحرة مثل صلاح عبدالصبور قد اعترفوا بتأثرهم بإليوت ، لأنهم جاءوا بعده ، فيكون من الطبيعى أن تنعكس دعوته للتجديد فى القصيدة على اتجاههم إلى التجديد فى القصيدة العربية .

ولكن حينما يعترفون بأن الشكل القرآنى هو الشكل الذى يستمدون منه تجديدهم فإنهم بذلك يكتسبون أصالة وعراقة وشرفا .

لذلك فقد فهمنى شعراء اقصيدة الحرة فهما خاطئا عندما تصوروا أننى أريدهم أن يقلدوا القرآن ، فهذا أبعد ما يكون عن تفكيرى ، لقد أردت أن أكون محاميا عن الموجة الجديدة من شعراء القصيدة الجديدة ولكن ما حدث أنهم أمسكوا بى وظنوا أننى لست محاميا وإنما أنا متهم .

فما مصلحتى فى أن أهاجمهم ، فأنا لست شاعرا تقليديا لأهاجم شعرهم الحر ، ولا أدعى أننى شاعر على أى وجه من الوجوه ، وما سقته من مثل استمدت فيه الشكل من سورة العاديات ، ما هو إلا نموذج لتدعيم وجهة نظرى بشكل التجديد الذى أردت من شعراء القصيدة الجديدة أن يلتمسوا فيه أصالتهم .

ولكن ماداموا قد رفضوا دفاعى عنهم فماذا يقولون للعقاد وهو شا عر معترف به ، لدرجة أنهم كانوا سيختارونه بعد أحمد شوقى ، أميرا للشعراء ، هذا بالإضافة إلى أنه كان رئيسا للجنة الشعر ، وكانت كل قصيدة من الشعر الحر تأتى اليه يكتب عليها تأشيرة بتحويلها إلى لجنة النثر.

فهل يجدون جوابا على هذا والعقاد شاعر ورئيس للجنة الشعر ، لقد رفضهم العقاد نهائيا .. ولماذا رفضهم ؟ يجب أن يسألوا أنفسهم هذا السؤال ويبحثوا عن إجابته ، لأن هذا يطعن فى شرعيتهم ، أما أنا فلم أطعن فى شرعيتهم ، ولم أهاجمهم ، ولكننى فقط أنبههم إلى أن أمامهم مصدرا جيدا يستطيعون أن يلتمسوا فيه أصالتهم وجذورهم ، خاصة وأنه سبق إليوت الذى يعترف بعض روادهم أنهم تأثروا به.

أما حكاية أنهم يلتزمون التفعيلة ولايلتزمون الوزن والقافية، وأن هذا الالتزام بالتفعيلة هو امتداد للشعر التقليدى، الذى يستمدون منه أصالتهم ، فهذا فى حاجة إلى متخصصين يفهمون ويدققون ويراجعون ، لأنه ليس كل الناس يعرفون مسألة التفعيلات الشعرية.

إنما عندما يقولون أنهم ينتسبون إلى الشكل القرآنى ، فهذا

نسب يشرفهم لأنه نسب شرعى.

لقد رفضتم المحامى واتهمتموه بأنه ضدكم ، وهذا ليس بصحيح لأننى فى الواقع أدافع عنكم ، لأننى أردت أن أقول لكم من أين تأتى الأصالة.

أليس القرآن غير ملتزم بالوزن والقافية ، أليس القرآن فيه موسيقى ، أليس القرآن به صور فنية ؟

إذن فهو يتفق مع التجديد الذى تريدونه فى الشعر الجديد ، فلماذا تبتعدون عنه ، وهو أقرب إليكم من إليوت وغيره من الشعراء الغربيين !؟

ولكن ما دمتم أيها الشعراء لاتريدون محاميا ولاسندا يسندكم ، مع أن لكم خصوما ولكم مدعون انتهزوا فرصة كسر الشكل العمودى للشعر وقالوا نحن شعراء وهم ليسوا بشعراء ، ومادمتم تشعرون أنكم أقوياء تقفون على أقدام صلبة وأرض ثابتة ، فأنا لن أخسر شيئا لأننى لست شاعرا وبالتالى ليس لى مصلحة شخصية.

ولم يغضبنى هجومكم ياشعراء القصيدة الحرة لأن هجومكم جاء نتيجة سوء فهم يبدو أنه غير مقصود ، ولكن

الذى آلمنى هذه الحساسية التى اندفعتم من خلالها تهاجمونى دون روية أو محاولة لفهم مقصدى كمحامى وليس كمهاجم حولتموه إلى متهم.

والحكاية ليست معركة لأننى لست ضدكم ولا ضد الشعراء القدامى ، وإنما أنا معكم ومع التجديد فى حد ذاته، ولكنى أريد أن أصل بالجديد فى الشعر إلى إيجاد جذور عربية له.

وما دمتم يا شعراء القصيدة الجديدة ترفضون دفاعى ، فأنتم أحرار ، ولكن كونوا عمليين وابعثوا إلىَّ عبر مجلة الاذاعة والتليفزيون بدواوينكم أو على الأقل - حتى لاأثقل عليكم - بنموذج من شعركم علنى أجد فيه مايسرنى.

* * *

النموذج القرآني

قد يسأل سائل: "ولماذا نصحت أصحاب الشعر الحر بالانتساب إلى النموذج القرآني؟" أقول وأصر على هذا القول: إن القرآن يتميز من حيث الشكل بأنه "شكل حر" إلا أنه لا يتقيد بنظم ولا بقافية ... وهذه الحرية التامة تنبع من هذا النغم العظيم ... ولم يكن قصيدة كما زعم خطأ، إن المحاكاة من حيث الموضوع والمضمون ... لأن الموضوع والمضمون هو من عند الله تعالى ولا يصح مجرد التفكير في محاكاته أو مجاراته بأي وجه من الوجوه ... وإنما يجوز فقط الانتساب إليه من حيث الحرية والشكل الحر ... وهذا يكفي للتأصيل ... ولا حاجة بي للالتجاء إلى أدلة ضعيفة مثل "التفعيلة"، ونحو ذلك ... لأن الشعر الحر إذا [redacted] قيد نفسه "بالتفعيلة" فإنه لا يصبح حرا ... ويفقد صفة الحرية ... ويكون قد تحرر من قيد ليقع تحت سلطان قيد آخر: (التفعيلة) ... ويتعرض للنقد السطحي الذي يركز على "التفعيلة" المكسورة والمعيبة ... أنا أريد للشعر الحر حريته الكاملة اقتباسا من حرية "القرآن" ... وذاكرتي الضعيفة اليوم تخيل لي أني لمحت يوما في كتاب أخير للمرحوم "صلاح عبد الصبور" بعض آيات قرآنية لم تسعفني ظروفي وقتذاك بتحري ذلك وأسبابه، فهل تراه قد فطن إلى أهمية هذا الشكل الحر "القرآني"؟ لست أدري ... وأرجو مراجعة ذلك في كتبه ... وأنا اليوم بحكم سني وصحتي لا يمكن أن أبذل مجهودا يذكر في أي شيء ... ولولا رغبتي في أن يكون للقرآن الكريم فضل في توجيه الشعر الحر الجديد، لما تحركت ... ومن حسن الحظ أني تحركت لرفع الظلم عن الشعر الحر الجيد ... فالشعر كله في حياتي الأدبية لم يكن من اهتمامي، وأذكر مع الأسف أن المرحوم الشاعر الرقيق "إبراهيم ناجي" قصدني في الثلاثينات لأكتب مقدمة ديوانه الأول "من وراء الغمام" فأحلته على غيري ... أما الشعر الحر اليوم فقد سمعت الضجيج الكثير عن حريته ... وأنا بطبعي مع الحرية في الفن والأدب لأنها باب التجديد ... ولكن الباب المفتوح يغري بالدخول لمن يستحق ومن لا يستحق ويؤدي أحيانا إلى الفوضى ... ولذلك استرحت كثيرا واستراح ضميري إذ وقعت بين يدي أعمال من هذا الشعر لثلاثة من الموهوبين فيه هم: "إبراهيم أبو سنة" و"فاروق شوشة" و"أحمد سويلم" ... فاخترت نماذج قليلة من هذا الشعر الحر الحقيقي ... وكان بودي أن أكثر من الاختيار لولا مساحة النشر ... ولكن ذلك يكفي لإفهامنا أن التراب الذي يملأ الأرض قد نجد أحيانا في الخليط منه "عرق الذهب" ...

وها هي ذي النماذج:

وقد اختار الحكيم ثلاثة نماذج من الشعراء البارزين فى مجال الشعر الحر ضمنها مقاله التالى الذى خص به « مجلة الإذاعة والتليفزيون » وبذلك يكون قد تم الصلح بينه وبينهم(*).

كتب شيخ المفكرين توفيق الحكيم: لقد أحسن بعض زعماء الشعر الحر البارز بإرسال بعض نماذج من شعرهم الحر لأنظر فيه وأحكم بناء عليه .. وأنا لسبق اشتغالى بالقضاء ما كان يهمنى كثيرا الإصغاء إلى المرافعات الطويلة للمحامين .. بل كان يكفى شاهد إثبات واحد ليقنعنى .. وشاهد الإثبات فى هذه القضية هو شعرهم وحده .. ولو ظلوا يتجادلون بالألفاظ ويسوقون الحجج والبراهين لما ظفروا بشئ .. ولكننى عندما سمعت شاهد إثباتهم واطلعت على نماذج من شعرهم وضحت أمامى القضية .. بل خرجت منها بالنقطة الفاصلة : ماهو الجوهر فى الشعر الحر ؟..

وجدته فيما يمكن أن أصفه بكلمة :« عرق الذهب ».

عرق الذهب

نعم .. عندما نذهب لاكتشاف « منجم » ماذا نفعل ؟ إننا

(*) ٥ يوليو ١٩٨٦ (مجلة الإذاعة) .

نجمع حفنة من التراب أو الحجر أو الحصى ، ونذهب لنحلله ، فإذا وجدنا فيه عرق الذهب فإننا نعلن ظافرين اكتشافنا لمنجم ذهب .. ولانسأل بعد ذلك عن ضعة ما كان فيه .

هل هو تراب رخيص أو رمل زهيد أو طمى قذر أو رخام ناعم ؟ أما الشعر التقليدى العمودى فالذى يبهرنا فيه ونفحصه ، هو المحتوى : هذا الرخام المصقول وهذا الرمل البراق، وهذا الطين اللامع .. وغير ذلك من الأوصاف والألفاظ المؤثرة بالإيقاع فى الأسماع الخاطفة للأبصار .. ولذلك يكفى أن نسمع بيت شعر عمودى منظوم حتى نصيح : الله . أعد .. أعد » فهو قد خاطب الحواس وظفر بها .. وهذا مالا يوجد عادة فى الشعر الحر .. وهذا ما يأخذه عليه البسطاء .. لأنك لاتستطيع فيه أن تقول « الله .. أعد » .

إنه يقرأ ولا يسمع ليؤثر بالسمع ، بل يكتشف بالتحليل المتأنى كما يكتشف عرق الذهب المختلط بالتراب .

لذلك كثر فيه مع الأسف الكذابون والدجالون والمقلدون الذين يقدمون لك أكوام التراب والحصى ولاذهب هناك .. ولكن الشعر الحر الحقيقى عندما تكتشف فيه عرق الذهب المختفى فيه فإنك تفرح للاكتشاف ، وتبقى لذة الاكتشاف

مستمرة ، لأنها ليست خاطفة ، وتشعر المكتشف باحترامه لنفسه لأنه اكتشف من بين التراب ذهبا .. وهذا فضل الشعر الحر ، وصعوبته أيضا لأن قيمته فى ذاته .. لأنه لايعتمد على ما يخطف به الأبصار ويستدر به التصفيق والهتاف .. فهو لايحتاج منك أن تصفق له بل أن تكتشفه .. ولذلك إذا أردت الدفاع عن شعراء الشعر الحر الموهوبين الذين اتهموا بأنهم حطموا القيود عجزا واستسهالاً .. فإنى أقول :

العكس هو الصحيح ، فهم قد حطموا القيود كما يحطم الفارس الشجاع درعه ، وينزل إلى الحلبة عاريا ليس معه سوى قوته الذاتية الحرة وحدها .

النموذج القرآنى

قد يسأل سائل : ولماذا نصحت أصحاب الشعر الحر بالانتساب إلى النموذج القرآنى ؟

أقول وأصر على هذا القول : إن القرآن يتميز من حيث الشكل بأنه « شكل حر » أى أنه لايتقيد بنظم ولابقافية .. وهذه الحرية التامة نبع منها هذا التعبير العظيم .. ولم يكن قصدى كما فهم خطأ ، أنه المحاكاة من حيث الموضوع والمضمون .. لأن الموضوع والمضمون هو من عند الله تعالى

ولايصح مجرد التفكير فى محاكاته او مجاراته بأى وجه من الوجوه .. وإنما يجوز فقط الانتساب إليه من حيث الحرية والشكل الحر .. وهذا يكفى للتأصيل .. ولاحاجة إلى الالتجاء إلى أدلة ضمنية مثل التفعيلة ، ونحو ذلك .

لأن الشعر الحر إذا قيد بالتفعيلة فإنه لايصبح حرا .. ويفقد صفة الحرية . ويكون قد تحرر من قيد ليقع تحت سلطان قيد آخر :« التفعيلة » ويتعرض للنقد السطحى الذى يركز على « التفعيلة » المكسورة والصحيحة ، أنا أريد للشعر الحر حريته الكاملة اقتباسا من حرية « القرآن » .. وذاكرتى الضعيفة اليوم تخيل لى أنى لمحت يوما فى كتاب آخير للمرحوم « صلاح عبدالصبور » بعض آيات قرآنية لم تسمح لى ظروفى وقتذاك بتحرى ذلك وأسبابه ، فهل ستراه قد فطن إلى أهمية هذا الشكل الحر فى القرآن ؟ لست أدرى .. وأرجو مراجعة ذلك فى كتبه .. وأنا اليوم بحكم سنى وصحتى لايمكن أن أبذل مجهودا يذكر فى أى شئ .. ولولا رغبتى فى أن يكون للقرآن الكريم فضل فى توجيه الشعر الحر الجديد ، لما تحركت .

ومن حسن الحظ أنى تحركت لرفع الظلم عن الشعر الحر الجيد .. فالشعر كله فى حياتى الأدبية لم يكن من اهتمامى ،

وأذكر مع الأسف أن الصديق الشاعر الرقيق « إبراهيم ناجى » قصدنى فى الثلاثينات لأكتب له مقدمة ديوانه الأول « من وراء الغمام » فأحلته على غيرى.

.. أما الشعر الحر اليوم فقد سمعت الضجيج الآن عن حريته .. وأنا بطبعى مع الحرية فى الفن والأدب ، لأنها من باب التجديد .. ولكن الباب المفتوح يغرى بالدخول لمن يستحق ومن لايستحق ويؤدى أحيانا إلى الفوضى .. ولذلك استرحت الآن واستراح ضميرى إذ وقعت بين يدى أعمال من هذا الشعر لثلاثة من البارزين فيه .. هم : إبراهيم أبو سنة ، وفاروق شوشة ، وأحمد سويلم .. فاخترت نماذج قليلة من هذا الشعر الحر الحقيقى .. وكان بودى أن أُكثر من الاختيار لولا مساحة النشر .. ولكن ذلك يكفى لإقناعنا أن التراب الذى يملأ الأرض قد نجد أحيانا فى القليل منه « عرق الذهب »

وها هى ذى النماذج ..

لا أطيق

نموذج لفاروق شوشة :

هذا أنا

وفى نهاية الطريق أنت
واحة شهية ، سحابة سخية تمر
أدمنت ظلها ولامفر
تسألنى عيناك عن نهاية الطريق
أحار .. لا أجيب
يجلدنى سؤالك الصموت ألف مرة
ويخرس الكلام في فمي
ويبدأ الحريق فى دمى
ولا أجيب
وتستحيل لحظة اللقاء غصة وبعض بوح
لكنه السؤال فى عينيك ما يزال ، والحريق
لا أطيق
وانطفأ السؤال
فليس من بداية ولانهاية
لرحلة تدور فى المحال
ترى يجود العمر مرة بلحظة اكتمال

فتسقط الحدود والسدود من طريقنا المرصود
وتسقط الأقنعة التى تعافها الوجوه والجلود
وتستريح بيننا العيون من فجاءة الزلزال.
هذا أنا
وفى نهاية الطريق .. أنت
والآخرون بيننا.

يتملكنى محرابى

ونموذج آخر لأحمد سويلم:

إننى الآن أرقب خطوك :
أجريت عينى في فلك الشمس
عيناى سابحتان مع الضوء
فى عربات السماء
أُحدث عنك النجوم.
أكلم عنك الرياح
أمهد فى الصحراء
ـ أعددت من زمن كل شئ

فى الصباح .. ينقر فوق نوافذك الطير
يغمرك الظل عند الظهيرة
فى الليل ..
تجتمع النجمات البعيدة فوق فراشك
ـ أعددت من زمن طرق الحلم ـ
صوتك سنبلة ـ صار ـ بين ضفاف الجداول
وجهك أسطورة ـ صار ـ بين التواريخ .
بين البحار .. وبين المدائن
ـ أطوى أجنحتى عند الأسوار
جئت أعانق ضوءا شفقياً ..
يتقاطر من شباكك ..
يتملكنى محرابى ..
هذى صلواتى ـ أولد فيها .
أنثر فى أعتابك أشواقى .. فى دفء الليل .
ـ ذهبى وقتك .. ممدود وقتى
هذا عمرى الأول والآخر ..

هذا قلبى عصفور منفى ..

هذا مزمارى ـ أطواق نجاتى ـ

أتقدم .. ملكوتك فى عينى ..

من أجلك أختصر العالم ..

أصل نهارى بنهارك ..

لاتقهرنى الظلمة فى أعمدة النسيان

يستسلمان فى الكهوف

وهذا نموذج آخير لإبراهيم أبو سنة :

سألتنى فى الليل الأشجار

أن نلقى أنفسنا فى التيار

أن نتجه إلى النهر القادم

.. من أعماق اليأس إلى أقصى المجهول

نحمله فى ذاكرة محكمة الإغلاق

ثم نفر من الغول

ويقول :

سألتنى أن أختار

ما بين الجنة والنار

قلت أحاور قلبى :

ـ ما معنى الجنة يا قلبى ؟

ـ قال : تجول فى نفسك حتى تصل إلى الإنسان

وتجول فى الإنسان إلى أن تصل إلي وطنك

وتجول فى وطنك حتى تصل إلى الله

ـ قلت : وما معنى النار ؟

قال : خواء الأشياء من المعنى

أن تصبح شيئا كالأشياء

يشرى ويباع

أن تنصاع إلى ما لا يدخلك إلى ذاتك

أن تسكنك الأشياء الباردة القاع

ويقـول :

عيناك طائران ليليان

توقفا على القمر

من بعد رحلة طويلة السفر

مراوغان كالقدر
تفتحت فى الغور منهما العصور والفصول
يستسلمان فى الكهوف يصحوان فى المطر
مسلحان بالجمال والألم

* * *

وهذه المعركة الشعرية التى خاضها الحكيم وحرصنا على إعادة نشرها كما جرت وقائعها ، تدل دلالة قاطعة على علو الشعر عند الحكيم ـ خاصة الحديث منه ـ حيث أراد أن يجعل له أصلا عربيا قرآنيا ، كما جعل للتمثيلية الأدبية العربية التى أسسها فى الأدب العربى ذلك الأصل حين استلهم رائعته « أهل الكهف » من سورة قرآنية .

تأسيسا على ما سبق « يمكن القول إن الشعر يحتل عند الحكيم مكانة متميزة بالقياس إلى نظريته الأدبية وإلى رؤياه الإبداعية ومكانة الأنواع الأدبية فيها »(١).

فرغم أنه كاتب مسرحى في المقام الأول إلا أنه يرى الشعر يحتل المكانة الأولى بين الأنواع الأدبية فيقول صراحة « أعترف بأن أعظم الأعمال الفنية فى الأدب هى الشعر أولا . والمسرحية ثانيــاً »(٢) لأن الشعر بتعبيره هو « معجزة فنية ، لأن آلاف الأفكار والصور والأخيلة والمشاعر يجمعها الشاعر فى سطر واحد ، هذا السطر العجيب الذى تراه ينتفض ، وأنت تقرؤه ، بهـذه الآلاف من الأفكار والمشاعر والصور .. إن بيت الشعر يشبه طاقة مسحورة صغيرة ، تطل منها النفس ، على الوجود البشرى بتجاريبه وأفراحه ومعانيه »(٣)

أو كما يقول أيضا إن الشعر هو « فن إيجاز وإيحاء » وهو « خلاصة الثقافة وعصارة الذوق »(٤). لذلك يرى الحكيم أنه « ما من فن عظيم بغير شعر ، أى بغير تلك المادة السحرية التى تجعل الناس يدركون بالأثر الفنى ما لايدركون بحواسهم

---

(١) الحكيم ونظرية الشعر - مقال د. عبدالعزيز شرف فى الكتاب التذكارى « توفيق الحكيم - الأديب . المفكر الإنسان » عن وزارة الثقافة - المركز القومى للآداب ١٩٨٨ .

(٢) المصدر السابق . (٣) السابق .

(٤) السابق .

وملكاتهم[١]. ولهذا يعتبر الشعر عند الحكيم هو أبو الفنون.

هذه هى قيمة الشعر عند توفيق الحكيم، ولكن ما هو مفهومه لطبيعة الشعر ؟

إنه يراه « خارجاً على الطبيعة .. وهل الشعر بنظمه وقوافيه وأوزانه الموسيقية - إلا من الفنون الخارجة على الطبيعة .. ومادام هو كذلك فيجب أن يؤدى متسقاً لا مع الطبيعة، ولكن مع غيره من الفنون التى تتصل بها « التراجيديا » [٢].

ولكن الحكيم يرى أيضا أن الشاعر لاينفصل تماما عن الطبيعة لأن « قلب الشاعر مقياس حرارة يتأثر أحيانا بمظاهر الطبيعة فيبكى لبكائها، دون سبب آخر يدعوه إلى البكاء »[٣].

بل إن الحكيم يذهب فى فهمه للشعر إلى ما هو أبعد من مجرد الخروج على الطبيعة، فيرى الشعر جنونا محببا له قصر يليق بجماله وعظمته فيقول « إذا جن الإنسان دخل مستشفى المجاذيب، وإذا جنت الكلمات والمعانى دخلت قصر الشعر »[٤]. لأن رسالة الشعر « تنبع من الحرية دائما لتبشر بالحرية »[٥].

(١) « زهرة العمر » لتوفيق الحكيم.

(٢) نفسه. (٣) المصدر السابق.

(٤) توفيق الحكيم بين الفكر والفن - الناشر الوطن العربى - بدون تاريخ.

(٥) الحكيم ونظرية الشعر - السابق.

إذن ما هى مهمة الشعر عند توفيق الحكيم؟

إنها مهمة سامية رفيعة كشأن الشعر نفسه ، بعلو قيمته وارتفاع قامته على كل فنون الأدب إذا كان شعرا حقا لأنه كما يقول الحكيم « ليس كل شعر فنا عاليا ، لأنه يعظ أو يصور أو يرنم ! فالشعر الحق هو شئ أبعد كثيرا من مجرد إصابة الأهداف الظاهرة ، أو تحقق الأغراض المباشرة ، بل ربما انحط شعر فى عرف الفن العالى ، لأنه اقتصر على صياغة حكمة أو تصوير منظر أو إحداث جرس . . إنما الشعر الحق قد يتوسل بهذه الأشياء لبلوغ مأرب أسمى : هو الارتفاع بالناس إلى سحب لا تُبْلَغْ ، والرحيل بهم إلى عوالم لاتنظر . هو أن يريهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية أشياء لم تكن بادية ولاطافية، فى محيط ضمائرهم الواعية . هو بالاختصار ذلك السحر الذي يوسع ذاتية الناس ، فيرون أبعد مما ترى عيونهم ، ويسمعون أكثر مما تسمع آذانهم ، ويعون أعمق مما تعى عقولهم »(١) . أو كما يعبر الحكيم بمعنى آخر حين يشبه رسالة الشاعر برسالة القمر « كلاهما يعطينا شيئا ممزوجا بطبيعته ، مخلوطا بخصائصه » (. . .) فالسؤال الذى يلقى على الشعر هو السؤال عينه الذى يطرح على القمر : ما الذى تقصد إليه من إعطائنا هذا الضوء المهذب الجميل ؟

أما القمر فيجيب :

---

(١) « زهرة العمر » لتوفيق الحكيم .

لست أقصد بهذا الضوء أن أريكم واقع الأشياء ، فإنكم ترون هذا الواقع مثلا واضحا فى وهج النهار ، ولكنى أريد أن أدثر لكم الأشياء فى رداء جديد من نور وظلال ، لأوقظ فيكم روح الوجود ، وجوهر الكائنات ، وأثير فى أذهانكم عوالم أخرى أجمل وأكمل من العالم الموجود ، وأجعلكم ترون فى ضوئى شيئا آخر غير الذى ترون فى ضوء الشمس فتحيون بذلك حياتين ، فيزداد وجودكم بذلك اتساعا .

ويجيب الشعر بمثل ذلك قائلاً :

أنا أيضا لست أقصد أن أريكم واقع الأشياء فى حقيقتها المادية ، فهذا من شأن العلم ، وما يجرى مجرى العلم من تاريخ وبحوث وتحقيق وإحصاء ، وتسجيل ! ولكنى أريد بضوئى أن أطرق أبواب تفكيركم ، ومشاعركم ، وأنمى فيكم ملكة التخيل والتأمل ، وأجعلكم أنا أيضا تحيون حياتين : حياة الواقع الأرضى ، وحياة الفكر العلوى »[١].

ورغم مخاوف الحكيم على مستقبل الشعر من سطوة العلم وضعف الثقافة إلا أنه كان يؤكد « أن علمنا بحقيقة القمر ، لن يمنعنا من حب ضوئه الشاحب ، ولن يمنعه من التأثير فى نفوسنا الشاعرة ! . مادامت هناك نفس ، مستقلة عن الرأس . . فلا خوف على الشعر من العلم »[٢].

---

(١) « فن الأدب » لتوفيق الحكيم.

(٢) السابق.

أو كما يقول « إن متابعتى للشعراء في السنوات الأخيرة ، أكدت لى أن « العلم » لم يستطع هدم « الشعر » .. فالحقيقة الفنية والحقيقة الدينية قبلها تستطيعان الحياة على الرغم من ظهور الحقيقة العلمية »(١).

واهتمام الحكيم بالشعر وبمستقبله جعله يدخله ضمن نظريته فى الأدب والحياة وهى « التعادلية » التى تقوم فى « الأدب والفن على أساس قوتين يجب أن تتعادلا هما قوة التعبير وقوة التفسير(٢) » . لاغنى لأحدهما عن الآخر « لأن التعبير وحده على علو قيمته الأدبية والفنية ، قد يحبس أهداف الأدب والشعر فى نطاق التهذيب الروحى والإمتاع النفسى ، ومهما يكن نبل هذه الأهداف وكفايتها ، فإن المطلوب من الأدب أو الشعر - خصوصا فى العصر الحديث ، أن تمتد رسالته إلى أبعد من هذا النطاق .. المطلوب منه أن يهذب ويمتع ، ثم يلقى فى نفس الوقت ضوءا كاشفاً موجها فى طريق الإنسانية ، فالأدب أو الفن يجب أن يكون معبرا ومفسرا : أى أن تتعادل قوى التعبير وقوى التفسير فى الأثر الأدبى أو الشعرى » (٣).

(١) من مقدمة توفيق الحكيم لديوان د. عبدالعزيز شرف « حب اولاحب » مكتبة مصر ١٩٧٨ .
(٢) نفسه .
(٣) الحكيم ونظرية الشعر

« والتعبير - كما يقول الحكيم - يشتمل الأسلوب والموضوع.. الشكل والمضمون ، وبه يمكن أن يتم الأثر الأدبى أو الفنى فى ذاته .. أما التفسير ، فهو - الرسالة التى يحملها الأثر الأدبى أو الفنى بعدئذ للبشرية ليقول فيها كلمته عن وضع الإنسان فى كونه وفى مجتمعه »(١).

ورسالة الشعر لها أهميتها الكبرى سواء فى الشعر القديم أو الحديث ، فهو يرى فى البحترى معبرا ، وفى أبى العلاء معبرا ومفسرا لرأيه فى وضع الانسان ومصيره ، ويصرح الحكيم فى « أدب الحياة » أنه ليس ممن يتمسكون بعمود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه بغير جدال ومناقشة ، يقول : أنا مستعد دائما للإصغاء إلى كل رأى جديد . وليس كل شعر يدبج على الطريقة القديمة يعجبنى ، فالمسألة ليست مجرد امتلاك لقاموس عربى يجيد صاحبه القوافى والأوزان - أو كما يقول الحكيم « ليس بشاعر حق ذلك الذى يقدم الصخرة ولايفجرها حياة ، وليس بشاعر حق ذلك الذى يغرف من نهر النثر كلا ما ككل كلام »(٢).

---

(١) السابق.

(٢) السابق .

ويدفع به مذهبه التعادلى إلى أن يكتب « تحذيرا للشعر الجديد » يقول فيه « قد يظن بعضهم أنك إذا أردت أن تكون شاعراً جديدا فما عليك إلا أن تأتى بموضوع مما تتناوله الصحف اليومية وتكتبه نثراً ، ثم تقسمه إلى جمل مختلفة فى الطول والقصر ، وتضع كل جملة فى سطر ، ولابأس من أن يكون فى السطر كلمة واحدة أحيانا أو كلمتان ، وحبذا لو كان بين السطر والسطر سجعة أو سجعتان ، ليقع من ذلك فى الأذن ما يشبه الدوى أو النغم . كلا . ليس هذا إلا الشعر الجديد الكاذب ، لا الشعر الحقيقى . إن الشعر الجديد الحقيقى يعجبنى شخصيا وإنى أرى أصحابه مجددين حقا ، وحتى وإن حطموا كل القيود القديمة ، ذلك لأنهم شعراء . شعراء بالهبة على الرغم من كل شئ »[1] .

* * *

---

(١) السابق .

نصل الآن إلي المفاجأة التى تأتى في سياقها الطبيعى وهى هذا الديوان الذى كتبه توفيق الحكيم مؤكدا فى تقديمه أن « هذه الطبعة خاصة ومحدودة تماما وكلية للأصدقاء » هم بالطبع الأصدقاء الذين يثق توفيق الحكيم تماما أنهم لن يبوحوا بسر هذا الديوان المجهول.

ولكن لماذا فعل توفيق الحكيم ذلك ؟ ولماذا لم يجرؤ كعادته فى الجرأة والشجاعة أن يعلن ما يعتقد أنه صحيح ويؤمن به ؟

هل لأنه خشى من الهجوم عليه باعتباره دخيلا على الشعر والشعراء فاكتفى بكتابة المقدمات للشعر والشعراء كما فعل مع «فاروق جويدة» ، و« عبدالعزيز شرف ».

ولكن منذ متى كان الحكيم يخشى المعارك والهجوم عليه إذا كان يعتقد أنه شاعر بالفعل ، أم أنه كان سيئ الظن بنفسه فى هذا المجال فعبر عن نفسه بالفرنسية وفى طبعة خاصة ومحدودة تماما لخاصة الأصدقاء؟

تبقى الأسئلة مطروحة وتبقى الإجابات مفتوحة بغير تحديد للإجابات الصحيحة وإن كنا نحاول أن نتعرف من النُقاد والمتخصصين على أقربها للصحة والإقناع ، غير أنه لاشك فى

أن ظهور أشعار مجهولة لتوفيق الحكيم مسألة تستحق البحث وإعادة النظر فى الكشف عن جانب جديد من جوانب توفيق الحكيم الإبداعية إذا كانت تستحق التوقف عندها .

والملاحظ فى هذا « الديوان » إذا اعتبرناه ديوانا أن أغلب مقطوعاته قد نقلها الحكيم بنصوصها العربية - التى سبق نشرها فى كتابه « رحلة الربيع والخريف » ١٩٦٤ - إلى الفرنسية فى سنة ١٩٨١ . ومن المدهش أننا سوف نجد فى الصفحات التى حرص الحكيم على تقديمها فى بداية الكتاب المذكور تحت عنوان « كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية » يذكر أمامه حين يأتى بيان « رحلة الربيع والخريف » بين قوسين على أنه « شعر » .

وترصد **د. كاميليا صبحى** مدرس الآدب والترجمة بقسم اللغة الفرنسية بكلية الألسن ، فى بحثها الذى أقامته حول هذا الكتاب (*) مالاحظته على توفيق الحكيم « فى ترجمته الفرنسية لكتاب « عدالة وفن » - أنه - لم يحتفظ بعنوان الكتاب الأصلى ، وإنما أسماه « ذكريات قاض شاعر » .

وقد قدم للقسم الثانى من هذا الكتاب المنشور بالفرنسية

(*) جعلت عنوانه « توفيق الحكيم شاعرا بين العربية والفرنسية » وألقته فى احتفالية المجلس الأعلى للثقافة بمئوية توفيق الحكيم ١٩٩٨ .

بهذه العبارة : « قصص قصيرة وقصائد كتبها القاضى الشاعر فى أوقات فراغه » .

هذه الطبعة التى نشرها فى فرنسا عام ١٩٦١ ضمت أبياتا شعرية فرنسية من المرجح أنها أول ما صدر للحكيم شعراً ، أودعها هذا الركن الهادئ النائى من كتابه ، وكأنه أراد أن يحميها من شر هجمات النقاد ، ولم ينشرها أبداً بالعربية .

ولكن قبل هذا التاريخ لانستطيع أن نغفل كتابه « نشيد الإنشاد » الذى صدر عام ١٩٤٠ ، ولاننسى أنه مستمد من التوراة ، وقد ذكر الحكيم النص الأصلى فى نهاية الكتاب .

ووضع هذه المادة فى صياغة درامية جميلة - كما يقول الشاعر أحمد سويلم - مما يدل على أن الحكيم يستجيب لأشواقه الحارة لمثل هذا اللون من الإبداع كلما أتيح له ذلك .

وتستشهد د. كاميليا صبحى بقول صلاح عبدالصبور

- أحد كبار رواد الشعر الحديث - : « بدأ توفيق الحكيم حياته الأدبية شاعراً يحاول ترويض الشعر ، ونسج الأوزان ، وكان حينئذ فى حوالى العشرين من عمره » .

- وهو ما ترتب عليه مدرس الأدب والترجمة - أن أغلب إبداعات الحكيم لم تخلو من إشارة إلى الشعر والشعراء ، وربما

كانت فترة إقامته في باريس هى أكثر الفترات التى ارتبط خلالها الحكيم بالشعر ، فقد كتب فى « زهرة العمر » فقرات عديدة عن الشعر والشعراء ، وهو فى هذه المرحلة حينما يصف نفسه يقول « أنا الشاعر مرهف الشعور » ولايقول أنا الروائى أو المسرحى .

ثم كانت الطبعة الأولى « رحلة الربيع والخريف » - ١٩٦٤ - التى نشر فيها الحكيم أول مرة شعراً بالعربية ، ثم عاد وأصدر نسخة جديدة من « رحلة الربيع والخريف » عام ١٩٦٨ .

والحقيقة أن لعنوان - رحلة الربيع والخريف - دلالته ، فكما جاء فى الكتاب ، كانت رحلة الربيع (١٩٢٦ - ١٩٢٧) هى رحلة الشباب والشعر والبحث عن منهج وطريق ، ثم جاءت رحلة الخريف (١٩٦٢ - ١٩٦٣) رحلة النضوج واختيار المسرح قالبا والحوار منهجا .

ثم إن هذا العنوان يستدعى « رحلة الشتاء والصيف » التى وردت فى القرآن الكريم فى تناص له دلالته ، لاسيما وأن الحكيم قد بنى نظريته الشعرية كما نعلم على استلهام القالب المعجز الذى صيغ فيه القرآن .

وأخيراً كانت الطبعة الفرنسية المحدودة المقصورة على

الأصدقاء التى صدرت عام ١٩٨١ ، وكأنه أراد أن يثبت أنه أبداً لم ينس عشقه للشعر ولو كره الكارهون.

والملاحظ أن الحكيم اعتمد على الموروث الدينى أكثر ما اعتمد فى قصائده الفرنسية .

والحقيقة أن التساؤل هنا يفرض نفسه :

كيف للقارئ الأجنبى حتى وإن أدرك بثقافته أن هناك بعض الإشارات الدينية ، أن يتفاعل مع النص فى كليته كما يحدث مع قارئ العربية ، ولكن وإن رجعنا لكتاب « زهرة العمر » ثم « عصفور من الشرق » الذى يعرض لنفس هذه المرحلة ، لوجدنا كيف كان الحكيم تتنازعه مادية الغرب ، وروحانية الشرق ، وربما أراد بهذا أن يؤكد على قيم الشرق للقارئ الأجنبى وأن يشده بمنحه صوفية الشرق مهبط الأديان، وإلى جانب استلهام الحكيم للموروث الدينى كما رصدت **د. كاميليا** ، فإنه استلهم أيضاً الشعر والفكر الفرنسى .

ففى قصيدة « عدالة » استلهم الحكيم قالبا محدداً معروفاً فى الفرنسية باسم الـ Fabes عرفناه أساساً من خلال صياغة ابن المقفع لـ « كليلة ودمنة » من حيث أنها حكايات تجرى على لسان الحيوانات ، لها صيغة أخلاقية أو فلسفية أو الإثنين معا .

هذا القالب وإن كان مسجوعا فى العربية ، إلا أنه موزون ومقفى فى الفرنسية ، لاسيما وقد ارتبط بـ« لافونتين » الذى ينتمى للقرن السابع عشر ، وقد بدأ الحكيم من حيث انتهى الكاتب الفرنسى ، ويسترسل فيقص علينا حكمة لها لون وطعم جديد .

فإذا كانت « نملة » لافونتين ، علمتنا الحيطة ، فإن نملة الحكيم لم تقف عند حدود أراضيها الآمنة ، وفقدت قناعتها وانطلقت صوب عالم لاتملك مفرداته ، ليتم الحكيم هذا القالب الأدبى بفكرة إنسانية فلسفية .

ولم يغب الموروث الشعبى عن الحكيم فى شعره كما نرى فى قصيدته « **نسيج الخليقة**»

عروق ذهب فى جبل

جبل يسير على قـدم

قدم تطير على عجـل

عجل يمرق فى رخـام

رخام جو من غيــوم

غيوم حقل من نجوم . .

إلخ . . .

ولايصعب علينا تذكر هذه الكلمات التى طالما رددناها ونحن صغار :

البقرة عايزه البرسيم

والبرسيم عند الفلاح

والفلاح عايز بيضه

والبيضة عند الفرخة

والفرخة عند التاجر

والتاجر عايز فلوس

والفلوس جوه الخزنة

والخزنة عايزه مفتاح

والمفتاح عند الحداد

والحداد عايز منشار

والمنشار عند النجار

وهو ما يردنا إلى تجربة الحكيم فى اللامعقول :

« ياطالع الشجرة » ألم يقل :

هل لهذا الكلام معنى ، وما هو المعنى الذى يمكن أن يكون

له ، ومع ذلك فإن أجيالا من الأطفال والصبية قد رددوه ، وما زالوا يرددونه فى بلادنا . . » ثم يكمل :

« هنا المنفذ الذى انفتح على عالم جديد هو : الفن الحديث - الذي - اتجه إلي تعميق هذا الشئ الخفى ، وكانت وسيلته التجرد أولا من المعنى والمنطق » .

إنى مهندس

وتستكمل د. كاميليا صبحى بحثهاعن « توفيق الحكيم شاعراً بين العربية والفرنسية » فتلاحظ مزجه الشعر بتقنيات القصة القصيرة والمسرح ، حيث تتميز قصص الحكيم الشعرية القصيرة بسلاسة الأسلوب وبساطة المفردات والمباشرة فى طرح الفكرة .

نلاحظ هذا من خلال قصيدة « القمر الآخر » التى مزج فيها الخيال العلمى بحواديت الساحرات ليطلع منها بقيمة إنسانية كدأبه ، ثم قصيدتا « كرم» و « ذرة » حيث لم يقف الحكيم عند حدود القصة القصيرة وإنما أدخل تقنيته الأثيرة - الحوار - التى تعد العمود الفقرى للمسرح .

غير أن حوار الحكيم فى هذه الأشعار هو أقرب لحواره الذى استخدمه بالفعل فى مسرحه الرمزى ، فهو الحوار « المركز

المكثف كأنه قطرات المطر الصافية الى تحمل فى داخلها جوهر كل مياه الأرض » - بشهادة صلاح عبد الصبور فى كتابه « ماذا تبقى منهم للتاريخ » ، ثم يأتى توفيق الحكيم بالخلاصة فى هذه العبارة التى ذكرها فى « زهرة العمر » :

« أنا الذى لايحب فى الفن غير قوة البناء » وما يتبعه من قوة التركيز . . وهذا هو سر عنايتى بالحوار التمثيلى فى الأدب ، نعم ذلك ما أسميه عاطفة الـArehitecture ، هذا الإحساس الهندسى الذى من نتائجه : الحساب ووضع الكلام بمقدار ، والاعتماد على الخطوط الكبرى التى تحدث التأثير، إنى مهندس" Architecte " »

نعم هو مهندس ، يستدعى أكثر من خبرة ليبنى قصائده بناء فكريا جماليا له منطقة الخاص ، بناء فيه من تجريد الفن الحديث الذى تأثر به فى هذه الفترة ، حيث كل كلمة لبنة فى صرح معمارى مكون من مادة خالصة تقول فى اقتصاد ولاتستفيض.

فهو بناء إنسانى قبل كل شئ ، ربما اعتمد فى نموذجه على روح الغرب ، ولكنه حوى بين جنباته روحانية الشرق وقيمة الإنسانية فى تلاحم تعادلى جميل.

ونمضى مع الباحثة فى شعر الحكيم الفرنسى الذى صاغه فى لغة رفيعة المستوى ، لها مذاق خاص لايكتبه إلا شرقى .

وحينما يكتب الحكيم بالفرنسية فهو يفكر بها ويقيم منطقها من حيث التراكيب اللغوية وبنية الجمل ، وقد تحرر تماما من سطوة الأسلوب العربى أو الفرنسى ، وهو ينتقل بالأبيات من لغة إلى أخرى ، فأعاد ترتيبها ، أضاف وحذف كلما اقتضى الأمر لتخرج لغة صحيحة فى عربيتها أو فرنسيتها .

الحقيقة أن الحكيم حينما كتب الفرنسية ونقلها إلى العربية أو العكس ، لم يأت بالنص فى أى من اللغتين بروح المترجم ، وإنما بروح المبدع ، ولكنها روح لاتخلو من دلالة ، فهو على سبيل المثال لم يعط نفس العناوين لذات القصائد بالفرنسية والعربية، فقصيدة « تجدد الكون » هى فى الفرنسية « ألعاب » و « شكوى » هى « من يغنى لنا » ، و« اللامتناهى فى المتناهى » هى « الفنجان » ، و « أيتها الحياة التى فينا » هى « علامات استفهام » و « أين المصير » هى « قرب النهاية » ونلاحظ اختلاف الأساليب التعبيرية باختلاف المخاطب ، فقد تميزت عناوينه الفرنسية على سبيل المثال بالبساطة والتركيز

والتكثيف ، بينما لجأ أكثر للمجاز فى العربية ، فى مقابلة تعكس روح كل لغة على الأقل من وجهة نظره ، أما مسألة « الفنجان » الفرنسية التى تحولت إلى « اللامتناهى فى المتناهى » فى العربية فلابد أن لها مدلولها الخاص بالعقلية الثقافية العربية ، أتركه لفطنتكم .

هكذا تحدثت **د. كاميليا صبحى** وأضافت :

وقد انصاع الحكيم لقواعد اللياقة الفرنسية فى معالجته لبعض الثنائيات مثل «الآخر والأنا » ، وتقديمه دائما للأنثى على الذكر كما فى قصيدة « بطتان » على سبيل المثال (وهنا لايسعنى إلا أن أستطرد وأقول : إن من صاغ هذه الأبيات لايمكن أن يكون عدواً للمرأة حتى وإن أعلن هذا ، وحتى وإن تعلق الأمر بأنثى البط)

- إنها شهادة امرأة مثقفة للحكيم - وإن كان لم يحرص على الأوزان فى أى من اللغتين إلا أنه حرص على القوافى فى بعض القصائد العربية وكثير من القصائد الفرنسية .

أما عن مستوى اللغة التى كتب بها بعض القصائد فهى لغة نخال أنها عامية ولكنها فصحى ، كما فى قصيدة « بدر » على سبيل المثال .

هذه اللغة تتميز بالمرونة والسلاسة ، وقد كان من رأى الحكيم أن على الكاتب أن يتأكد من انتماء بعض الكلمات العامية للفصحى من خلال معجم اللغة العربية .

البساطة هي التي ميزت أسلوب توفيق الحكيم بكل ما فيه من عمق ، بل إن العمق يتجلى من فرط نقاء الأسلوب كما يشف الماء النقى عن أعماق البحر

***

وقد حرصنا على تقديم النص الفرنسى فى نهاية النص العربى حتى تلك النصوص التى سبق للحكيم نشرها بالعربية مع الإشارة إلى ذلك ، حيث يكتسب تحويلها إلي الفرنسية بعداً جديداً فى الدلالة على حرص الحكيم على تأكيد ريادته، خاصة وأنه لم يضع عنوانا لديوانه مكتفيا بوضعه تحت عنوان « قصائد عربية » وهو أكثر إيحاء ودلالة على أن الحكيم كانت لديه القناعة أن ما كتبه كان تعبيراً عن هذا الشعر العربى ونموذجا يستحق أن ينيب عنه ، وإن لم يعلن عن ذلك بوسائله الدعائية - المطلوبة لكل مبدع حقيقى - المعروفة عنه نشراً وترويجا وتأكيداً لسبقه وريادته ، وإن لم يغب عنه أنه حين ينتقل إلى عالم الخلود لن يبق السر سراً وإن تظاهر بذلك حين

جعل « هذه الطبعة خاصة ومحدودة تماما وكلية للأصدقاء » لأنه يعلم جيدا أن السر لن يكون سرا طالما انتقل من صاحبه إلى غيره من الأصدقاء .

ومن بين واحد وثلاثين نصا هى عدد نصوص الكتاب أو الديوان ، سمه ما شئت ، نقل توفيق الحكيم واحداً وعشرين نصاً عربيا إلى الفرنسية من كتابه « رحلة الربيع والخريف » ليصبح الجديد الذى أضافه عشرة نصوص ، فهل هذه النصوص المضافة كانت لديه ضمن النصوص القديمة التى كتبها فيما بين ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ كما ذكر فى كتابه « رحلة الربيع والخريف » وهى النصوص التى ذكر أنه مزق كثيراً منها، أم أنها نصوص جديدة كتبها حين أراد أن يطبع كتابه أو ديوانه بالفرنسية ؟ غير أن الأكثر جدارة بالاهتمام فى هذا الاكتشاف الأدبى المثير هو ما الذى أراد أن يقوله الحكيم؟

إن قراءة هذا الكتاب أو هذا الديوان تحمل لنا حكمة الحكيم وخلاصة تجارب السنين ومحاولته إشاعة البحث والتأكيد على القيم الإنسانية النبيلة كالحب والعدالة والخير والسلام والحرية والإيمان ، وهى قيم تسرى فى أعمال توفيق الحكيم وإبداعاته .

ثمة مفاجأة أخرى غير الديوان المجهول المطبوع المنشور بالفرنسية لتوفيق الحكيم وهى قصيدة بعنوان « مجنون الأميرة الفرعونية » كتبها الحكيم تحت إسم « شعر منثور قديم لتوفيق الحكيم » ، مؤرخا إياه بسنة ١٩٢٦ ، أما مكانه ففى باريس حين تأثر هناك بالفن الحديث كما أشرنا من قبل فشرع فى كتابة بضع قصائد شعرية نثرية منها هذه القصيدة « مجنون الأميرة الفرعونية ، التى ننقلها عن النص المخطوط بقلم توفيق الحكيم بالقلم الرصاص الذى اعتاد الكتابة به فى أغلب كتاباته، على ورق متوسط الحجم يميل إلى الإصفرار ، وقد جعلنا مكان هذه القصيدة الشعرية المنثورة بعد نهاية النص العربى « قصائد عربية » لتوفيق الحكيم ، أثبتناها كما هى بخط يده .

مفاجأة صالح جودت

أما المفاجأة الأخرى التى بين أيدينا ـ فهى ذلك الخطاب الذى عثرنا عليه بين أوراق شيخ الكتاب موجها إلى :

الأستاذ الكبير توفيق الحكيم . . مع تحيات صالح جودت .

إنها رسالة من الشاعر الكبير إلى الأديب الكبير ، ويبدو أنه سلمها له يداً بيد ، أو أرسلها له بطريقته الخاصة بعيدا عن

ساعى البريد ، لأن الخطاب لايحمل طابع البريد أو خاتمه ، وبداخله صفحتان من الورق المقوى كبير الحجم ويميل لونه إلى الأزرق الخفيف ، الورقة الأولى تحمل صياغة شعرية ذات وزن وقافية لقصيدة توفيق الحكيم « الإنسان الأول يقتل » كتبها صالح جودة واختصر عنوانها إلى :« القتيل الأول »

يقول فيها :

القتيل الأول

حينما ضلَّ الهُدى واغتال قابيل أخاه
اقشعرَّتْ أرضنا العذراء من مَرْأى دماه
فإذا أولُ زلزالٍ على وجه الحياه

× × ×

وإذا الشمسُ التي تلمع كالماس المُصَفّى
تتوارى خلف أجرام السموات وتَخْفى
هكذا كان كسوفُ الشمس إشفاقاً وعطفا

× × ×

والورودُ الناعماتُ العودِ مُشْتى الدِّماءْ
فاكتست أوراقها بالأحمر القاني رداء
ونما الشوك بها حُزْناً على موت الإخاء

× × ×

ورأى المأساةَ ماءُ البحر فاهتاج وماجا
إذ رأى بين الشقيقين صراعاً ولَجَاجا
كان حلواً فغدا من سخطه مِلْحاً أجاجا

أما الورقة الأخرى من خطاب صالح جودت لتوفيق الحكيم فنعرف منها أن ورقتين قد فقدتا ، لأن صالح جودت قد كتب على يمين الورقة -التى بين أيدينا - فى أعلاها : بقية قصيدة « حب » الثلاثية ، والتى عنونها الحكيم « إخلاص » - كما ستجدها على صفحات هذا الكتاب - وهى مكونة من ثلاث مقطوعات صاغها صالح جودت شعراً وليس بين أيدينا سوى المقطع الثالث ، والذى يقول فيه :

بقية قصيدة (حب)
الثلاثية

- ٣ -

وكان بعشٍّ جيرانيْ أليفان من الطيرِ
يعيشان لوجه الحب ما طاب من العُمْرِ
يحب الذكرُ الأنثى، وتهواه بلا غيرِ
ويعتقدان أن الناس موسومون بالخيرِ
فهذا صاحبُ البيتِ يُوافي ساعةَ الفجرِ
ولا يألو يمدّهما ببعض الماء والبُرِّ
ولا يُضمر عدوانًا، ولا يطمع في شكرِ

* * *

وفي يومٍ تهادى الجارُ مطويًّا على شرِّ
وفي كفّيه سكّينٌ عليها سمة الغدرِ
فما هو بين القسوة والطاغوت والقهرِ
فجرّ الذكر الحاني على الأنثى من الوكرِ
وأرسى الطعنة النجلاء بين الرأس والنحرِ
فزقّ الطائر المسكين كالملسوع بالجمرِ
وطار ودار مسترخى كمن أُثقِلَ بالخمرِ
وخرّ وحوله دمه غزير النزف كالبحرِ

* * *

وجُنَّ جنونه أنثاه فهبّتْ نحوه تجري

وصاحت صيحة المغلوب لا يقوى على الثأر

وألقت نفسها في دمه مفقودة الصبر

وراحت رعشة للموت في أوصالها تسري

ولم تلبثْ أن استلقتْ وأن ماتت على الفور

×××

تعالى الحبُّ في الإنسان والحيوان والطير

فما في العيش إن راح أليفُ العمر ما يُغري

الاستاذ الكبير توفيق بك الحكيم

[illegible]

ولكن الملاحظة ، التى رصدناها هى أن الشاعر صالح جودت قد اختار هذه القصائد من بين النصوص الفرنسية التى لم نعثر لها على أصل عربى ، فهل أطلع الحكيم ، جودت على أشعاره قبل طبعها فى النص الفرنسى ذى الطبعة المحدودة ، وهل كان ذلك الإطلاع باللغة العربية - التى لا أثر لها بين أوراق الحكيم - أم باللغة الفرنسية ؟

لانملك إجابة محددة ، وإن كان من المؤكد أن توفيق الحكيم قد أسر لصالح جودت بما كتبه من أشعاره فأعجب بها ، بدليل أنه اختار منها ما صاغه شعراً موزونا ، وهو ما يؤكد قول الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى أن توفيق الحكيم لم يكن يبحث عن الشعر قدر بحثه عن جوهر الشعر ، وإن كان ما يكتبه قابلا لأن يكون شعراً بكل مقاييس الشعر بأوزانه وقافيته، وهو ما أثبته صالح جودت فى تجربته الفريدة - التى استمتعنا بها - مع قصائد الحكيم .

ويبقى حق الشكر واجبا لكل من شارك فى الترجمة من الفرنسية إلى العربية منذ الإضاءة الأولى لهذه النصوص التى قامت بها الزميلة الصحفية « نيرفين البحر » حتى أعطتها ملامحها المعقولة الأستاذة « نشوة الأزهرى » المترجمة بجامعة

الدول العربية ، إلى أن تحملت المسئولية كاملة الدكتورة كاميليا صبحى مدرس الأدب والترجمة بقسم اللغة الفرنسية بكلية الألسن باعتبارها المسئول الأول عن ترجمة العشرة نصوص من الفرنسية إلى العربية مسئولية أدبية ومعنوية فلها منى خالص الشكر والتقدير ، فلولاها كمترجمة ولولا الشاعر عبد الرحمن الأبنودى فله منى كل الحب ـ لمرت الذكرى المئوية لتوفيق الحكيم دون أن يكون هذا الكتاب أو هذا الكشف الأدبى بين أيدى قراء العربية فى توقيته الذى حرصنا عليه تحية ووفاءً لذكرى الرائد الكبير.

وقد أحدث هذا الكتاب صداه فى طبعته الأولى فى حينه ، حيث اعتبره النقاد بمثابة « المفاجأة » و « القنبلة الأدبية » ، وإن اعتبره آخرون أكبرفلاش أطلقه توفيق الحكيم ـ بعد موته ـ أنه كان شاعراً .

إبراهيم عبدالعزيز

قصائد عربية

لتوفيق الحكيم

إخـلاص (*)

(١)

من جوف الليل

علا صوت امرأة

مناجيا السماء

« يا ألله .. يا من له الخلود

باسم حبك الذى وهبتنى

اغفر لى . »

قلت لها :

« يا امرأة أضلها الكرب

أثقلها الاضطراب

بل ابتهلى وصلى

باسم حبى لك

قالت :

لا ، لاتحسبها أعظم وأبدع المعجزات

فإن يسبغ علىَّ العلى القدير

(*) هذا النص وما يليه حتى نص « عداله » من ترجمة **د. كاميليا صبحى.**

يغمرنى أنا
أضأل ، أحقر خلقه
بحبه الخالص العظيم
تلك هى المعجزة

(٢)

قبران
توأمان ، جميلان
منعزلان فى البيداء
كحمامتين
شردهما إعصار
آوى إليهما عاشقان
أثقلت التعاسة حياتهما
ثم كانت المعجزة
انبثقت
من جوف القبرين
التوأمين الجميلين
شجرتان ، مورقتان

تشابكتا

تعانقتا

بأوراقهما

حتى بدت

وكأنها القبلات

ويقولون

أبدا .. مذ عرف الحب

قلب الانسان

ما نمت مثل هذه الأشجار

في مثل هذا المكان ..

(٣)

بطتان

أنثى وذكر

يمضيان أيامهما

بكل جمالها .. وقصرها

في عشه

حتى كان صباح

امتدت يد قاسية .. لاهية
التقطت الذكر
ذبحته
على مرأى من أنثاه
اهتاجت الأنثى
وبضربة جناح
أفلتت
ارتمت
فى الدم المراق
دم ذكرها المذبوح
ثم
فاضت روحها ..

كـرم

شمس غاربة
فى أفق بنفسجى
سألت جبل المقطم
كيف صرت أقرع هكذا
إلى هذا الحد .
أجاب : « ذات يوم
كنت أكثر الجبال خضرة
وارفة ظلالى
بالأشجار ، بالأزهار
حتى كانت ليلة
سمح فيها الإله
لموسى
أن يطلع على محيّاه
من فوق أحد الجبال
احتجت باقى الجبال

كمداً .. حسداً
باستثناء « الجليل »
جبل صغير
أظهر تواضعا
آثر الاستكانة
فانتثرت زينته كلها
بخضرتها الوارفة ، بورودها
على واديه ..
فجاء أمر الله للجبال
أن أقرضيه ما يكسوه
فمنحته أنا « المقطم »
كل ما كان يعينني
على التزين ، والكساء
حتى .. أصبحت عاريا .

رحلة بين الكواكب

أنت يا من تحلّقين

العزيزة أرضنا

أمًّنا أرضنا

بعيدا عن ديارنا ، حمامنا ، أفقنا

فإنْ تجاوزنا مرّةْ

حدودنا ، قانوننا

ستفنين

أو تعيشين

تتضورين جوعاً

أو تشهدين

ماضياً ينتهي

رحمة

في البدء كان الخلق
خلق الله الريشه
خلقها من نور أبيض
من لؤلؤة نادرة
كشحرور أبيض
لؤلؤة ضخمة
طولها ما بين السماء والأرض
عرضها ما بين المشرق والمغرب
خلقها .. نظر إليها
فإذا بها تنشطر من نظرة جليلة
ليس فيها شئ من كبر
وانساب المداد
من جسدها المنفطر
وسيظل ينساب
ليوم لحساب

أمرها الله

أن « اكتبى »

فلم تدر أى شئ هي كاتبة

قال : « اكتبى معرفتى » ولكائنات الأرض

زيدى :

إن « رحمتى سبقت غضبى »

ألـــوان

بالنسبة للانسان
الحصان ، حصان
أحمر ، أبيض ، أسود
أيا كان
بالنسبة للإنسان
الزهر ، زهر
أصفر ، بنفسجى ، أسود
أيا كان
بالنسبة للإنسان
الإنسان ليس إنسانا
إن لم يكن
من نفس اللون

الإنسان الأول .. يقتل

حينما قتل قابيل

هابيل

ارتجت

الأرض البكر الجميله

فكان أول زلازلها

والشمس

اللامعة كما الألماس

انخسفت

ونبتت

شوكة في الزهرة

وبعد أن كانت

مياه البحر عذبة

أصبحت مُره

القمر الآخر

على متن صاروخ ..

انطلقنا

صوب قمر ساطع ..

مخزنا الغيم

عبرنا البحر المائج ..

وما كنا نعرف

أن ثمة قمراً آخر

أبهى وأجمل

فى انتظار أن يكتشف

قمر ..

لاهو فوق رؤوسنا ..

ولا هو بكوكب

يثقل بمخاطره نفوسنا ..

ولكن ، أى صاروخ

يقلنا إلى هذا القمر

لا أحد يعلم ..
لا أحد يفكر
فى اتخاذ خطوة
نحو هذا القمر النبيل
الذى يتلألأ كالماس
يناجينا ، ينادينا
فلايجد غير الصدود
والصعود
لرحلة خيالية
فيقول لنا بمرارة :
« أبصرونى أيها البشر البائس
أنا أقرب إليكم ، أنفع لكم
عليكم أولا ببناء صاروخ
مسحور كما فى حواديت الساحرات
ليحملكم إلىَّ
أنا وإسمى : السلام

ذرّة

حينما أراد الله ..
أن يهب الإنسان النار
أمر جبريل
ملك السماء ..
أن اهبط إلى الجحيم
فسل حارسها
بعضا منها
فلما أتاه جبريل سأله الحارس
« أى قَدْرٍ تريد ، ولأى سبب »
فأجاب : « حجم تفاحة .. فيه للإنسان كفاية »
قال الحارس : « أيها الملكُ الطيب ..
أو تدرى
أنّ ناراً بهذا الحجم
تحيل السموات السبعَ والبحار
رماداً ؟

« لتكن إذن بحجم « جوزة »

فجاء صوت الحارس متمهلاً ، متحيراً :

« نار من جحيمْى بقدر « جوزة »

تُبدد الماء فى السماء

تُجْدِب الزرع فى الأرض »

« أيا حارس الجحيم الأعظم ،

أى قدر مناسب إذن ؟

أجاب الحارس : « إن أردت خدمة الإنسان

دون أن يحال إلى رماد

فخذ ذرّة

بالكاد

مـــوت

قال ملكُ الموت :

« لو أن مياه الأنهار والبحار

سكبت فوق كتفى

لما تخطت قطرة واحدة . .

حدود جسدى

فالأرض كلها تبدو فى كفى

قطعة نقود معدنية ،

مائدة حافلة بطعام . .

مُعَدٍّ لعشائى .

ذات مساء . .

سيكون عليه إفناء البحور

فينظر إليها ، يقول :

« حانت الساعة »

فتستجديه قائلة :

« أيا ملك الموت

ألا انتظر . .

ألا تسمحُ لنا بلحظة

نسكب فيها الدمع

على أمواجنا ـ زبدنا لآلئنا ـ كنوزنا ؟

فتنطلق صيحته الرهيبة

لتنزوى البحار والمحيطات

يضمها العدم

فينظر للجبال : قائلاً :

« حانت الساعة »

فتسأله الجبال لحظات تبكى

صلابتها ، شموخها

ولكنها ، ستغدو مع صيحته

بوديانها ، بقممها . .

كفقاعات صابون

فيحين دور الأرض

فتظل تبكى ، تنتحب
عند سماعها
« حانت الساعة »
تقول .. « أين ملوكى » شرائعى
حضاراتى ، مجدى ، علمى ، تاريخى ؟ »
وقبل أن يُطلق الملك القاسى
صيحته المدوية ..
ليفنيها
سيواسيها ، يهمس لها
كما تهمس فى الأذن
بصوت عذب واضح النبرات :
« ستفنين
ولكنك اكتشفت أكبر معجزتين
لايساور أى كوكب آخر
مجرد شك فى وجودهما
إنهما
« الحب .. والأمل »

عـدالـة

فى دنيا النمل
راحوا يشربون ، يرقصون
يحتفلون بالنصر
ألقى خطيب كلمته على الملأ
مذكراً بيوم
تغلب النمل على عقبة
فكانت معجزة
خرجوا من كل صوب ومكان
فى جيش منظم البنيان . .
لعبور جدول ماء
على زوارق من الورق الميت
قال لإخوانه :
« أتدرون مكمن عظمتنا
الذى ينقذنا من كل هاوية
إنه النظام

فضحك أحد الفلاسفة هازئاً :
« كي تكون عظيما ، لابد أن تكون عاليا
ولكننا في غياهب الأرض ،
لانرى سوى الظلمة
فلننظر لأعلى . .
ثمة عالم من ضياء
عالم العصافير
تعيش حرة طليقة
حينما ترد لفظ الحرية على هذه الأرض
كان صداه مدوياً
وراحت كائنات الظلمات تقول :
« لماذا نحن محرومون
من هذه النعمة
التي تصنع عظمة عالم الطير
وسرعان ما تشكل وفدُ
من أحكم حكماء النمل
لسؤال العصافير عن سرها

راح النمل بخطواته الوئيدة
يتسلق جذع شجرة
كان الطريق طويلا . طويلا
حتى القمة الساطعة
حيث يعيش العندليب
يشدو فى عُشه
سأل العندليبُ المغرد :
« ماذا تصنعون هنا ؟ »
- « جئنا نسألك عن سر عظمتك »
فقال العندليب ، بصوته المغرد العذب
« كم أنا ضئيل مقارنة بالكواسر
التى تحوم حول الجوار
قال النمل :
« تملك حريتك »
- أصبتم يا صديقاتى الصغار
ولكن ما الحرية سوى جناح
لانستطيع التحليق به وحده

فى السموات الفسيحه
فهناك جناح حافظ آخر
أتعلمون ما اسمه ؟
إنه العدالة »
أشاعت هذه الكلمة الغريبة
الاضطراب من جديد فى نفوس الكائنات الضئيله
« أنت ، يا أعجوبة الطبيعة ،
يا مغرد الليل والفجر ،
لاتملك هذه « العدالة »؟
« لا .. وا أسفاهُ
لا أحد على وجه الخليقه
يملك هذه الهبه
لافوق الأشجار ..
ولا فى أعماق البحار
ربما .. كائن واحد
يستطيع الادّعاء
بأن لديه قدراً ضئيلاً

من هذه الثمرة الإلهيه

ليصبح كريم النفس

إنه « الإنسان »

صلاة الفنان..(*)

إطار صورة ملونة
يسمونه نافذة
والرسم حى يتحرك فى الفضاء
أشجار كأشباح البشر
وسنابل من الناس تموج
ونجم يلمع فى السماء كقطرة ماء
والبحر أزرق كالصور

* * *

والشمس تلعب عند الشفق
بصندوق ألوانها فى الأفق
والفن ينبض وحده بلا فنان
والقلب يهتف من أعماقه بصلاة
بصلاةٍ يسمونها دهشةً

(*) هذا النص منشور فى كتاب توفيق الحكيم « رحلة الربيع والخريف » ١٩٦٤ ، وكذلك النصوص التى تليه حتى النص المنشور بعنوان « أين المصير» .

تجدد الكون ..

السماء تتثاءب فى كل حين
من سأم الخلود
تلهو بفمها العريض
وتنفث فقاعات صابون
تتألق بالألوان والأضواء
ثم تتركها تنفجر وتفرقع فى الفضاء

***

ويعود الفم العريض
من سأم الخلود
إلى الفراغ
يعود ثم يعود ثم يعود
إلى لهو الأطفال الأبرياء

نشــوة ..

رفعت كأسى إلى فمى
وقد انطلق فى الكأس الحباب
رشفت منها رشفةً
ثم وقفت فجأةً
لقد ابتلعت كوكباً
وعندما ارتدت الكأس الضباب
وغطت رأسها الثلوج
بزغ الإشراق فى قلبى
وصاح الديك بفجر جديد

شكوى ..

إذا كنت عصفوراً
فإني دودةً
منقارك يشدو بغناء
أصوغه من أحشائك
تبحثين فى الطين عنى
لكنى أغنى
أغنى وأنا فى فمك
وأنت لاتسمعين
لاتسمعين غير غنائك

البــدر..

عين ذهبية تطل علينا
من برقع مثقوب
هكذا يقولون ولكنى أقول
هى سن ذهبية لإلهة لعوب
تضحك لنا بملء الفم
فيصفق لها النبت فى الحقول
ويزول من الصدور الغم
ولكنها تذهب
ولايبقى منها إلا حاجب يلعب
إلى أن ينام فى الظلام

الحب ...

زهر البنفسج انتشر
وفوق جدار الأبد تدلّى وانتشر
لون وأريج وربيع
صبّ على الكون صبًا من آنيتها
أنهار بنفسجية تتصاعد من نافذتها
تفيض على بطاح الأرض وديان القمر
كل شئ فى ربيع غرق
وعندما أغلقت نافذتها
كان قلبى قد احترق

لست وحدى فى الكون ..

أسمع أصواتا ولست أرى
أسمع موسيقى الضياء ولا أرى
حناجر جوقة تشدو ولاتدرى
بأى رحيق ريقها يجرى
من لذى وضع الألحان فى فمها
وكلها تتلاقى عندى فى انسجام
إن لم تكن الخليقة شعراً فماذا تكون
إن لم نكن نحن كلمات شعر فمن نكون
من الذى بنا يترنم
من فم واحد متعدد الأنغام

مسافر فى الفضاء ..

أيتها الأذن اسمعى اسمعى هناك
ما هذا السكون الجاثم كالحيوان النائم
حيوان ميت لاتصعد من أنفه أنفاس
إنه النعاس كل شئ فى نعاس
أين ذهبت العصافير من عشنا
ولكنى واثق واثق أن بيتى هناك

***

أيتها الأذن اسمعى اسمعى هناك
أما من كلام أما من صخب
حتى الهمس ووقع اللمس قد ذهب
ما من صوت غير صوتى أنا من هنا
أين حديثنا وضحكنا وغناؤنا
ولكنى واثق واثق أن بيتى هناك

***

أيتها العين انظرى انظرى هناك

ما هذا الشئ الداكن تحت رموشك
أهي أرض أهو ماء أهي سماء
كل شئ مطحون طحناً معجون عجناً
في تلك الكتلة الغامضة السوداء
ولكنى واثق واثق أن بيتى هناك

***

أيتها العين انظرى انظرى هناك
ما هذا الموج الأبيض تحت رموشك
أهو قطن مندوف أهى فروة خروف
ما بال كل شئ هكذا قد أريق
كأنه لبن صب من غير إبريق
ولكنى واثق واثق أن بيتى هناك

هواجس ليلة بيضاء..

تنفّس صبح من أنوف خيول
تركض لاهثة في وهاد نفسي
أسمع في أعماقي الصهيل
امنعوها من اللحاق بأمسي

***

إنها في غيوم تمرق
تتساقط من سنابكها شهب تبرق
وتغرق في عيون سود
غريبة النظرات لنساء عاريات
يسعلن ويضحكن في سوق النهود

حلمنا وواقعنا ..

مخمور يطرق باب الحان
ويخرج يهذى بالألحان
يسرق حلى زوجته
ويهديها لعشيقته
ويسرق حلى عشيقته
ويهديها لزوجته
من تكون زوجته
من تكون عشيقته

***

وجهان يصطرعان فى جوف الظلام
لحنان يختلطان من دون كلام
ويرن صوت الصمت في كأس الزمان
ويسيل وهماً من دنان الحان

كلام النجوم

الكون أسود الكون أسود
والنجوم تتناجى بالبريق
ليزول خوفها وتصمد
فى بحر التيه العميق
بحر المداد
تسبح فيه الطيور البيض
قبل أن تهوى فى السواد

كلامنا نحن ..

الكون أبيض الكون أبيض
لآلئ فى كؤوس تضئ الرؤوس
أسراب السحب وأسراب البجع
وثوب عروس
والليل مصبوغ بفجر مذاب
وميت يعطس فى الكفن
وصوت يقول أين المآب
وريح تنفخ فى الشراع
ليسبح فى بحار النهار

قبة سمائنا ..

غطاء محكم الإغلاق
أزرق زرقة الأبد
زرقة ضمير طفل فى المهد
أغلق إغلاقا على جوهره
تلمع داخلها جمجمة
تحسب أنها وحيدة
تقول كلاماً وتعيش غراماً
وتنام طويلا بعيون غير موجوده.

محاولة قبلة ..

عملة صفراء من ذهب ذهبت
فى مثل برقة العين هوت
وعلى رخام الأرض الأحمر تدحرجت
بصوت حلو الرنين
وفى ثقب اختفت
قالت الخادم الوقحة بابتسامة صفراء :
لا أمل ! .. دعنى أمسح الرخام
ثم جعلت تطلى بالأحمر شفتيها

أعماق نفسى ..

ما أشد بريق الإبريق الفضى
يلمع كالفجر فى يد ساق زنجى
اقترب الساقى الزنجى وعيناه فى عينى
شعاع كالسيف اخترق الصمت وقال :
إذا قدّم الشراب إليك ساق أبيض
سالت الحقيقة فى جوف الكفن

***

وإذا قدم الشراب إليك ساق أسود
بزغت كالنجم من خلف الغمام
وأشار الأسود إلىّ بالإبهام :
انظر فى جوف الكأس تعرفها
ونظرت فى الأعماق أرجو باحثاً
إنها عينى أنا ترنو إلىّ

نسيج الخليقة

عروق ذهب فى جبل
جبل يسير على قدم
قدم تطير على عجل
عجل يمرق فى رخام
رخام جو من غيوم
غيوم حقل من نجوم
نجوم جسم من عيون
عيون جسم من نجوم

***

نجوم جو من سكون
سكون أصداف بحار
بحار كأس من ورق
ورق يفور ويحترق
ويحترق ثم يعود
يعود يجرى كجواد

جواد حلبة تضئ
تضئ من جوف عيون

***

عيون وحش فى فضاء
فضاء رأس ثمل
ثمل بكروم جبل
جبل عروقه ذهب
ذهب يشع فى هواء
هواء يلد هواء
هواء يتغذى بهواء
هواء من نسل هواء

مزاجنـــا

دمية من خشب
ثيابها دمقس
ضفائرها أشعة شمس
أهدابها مطر
تغمض وتفتح
فتغضب الشمس وتفرح
دمية خشبية
حياتها أبدية
لأن ما تصنع
أن تغمض وتفتح

اللامتناهى فى المتناهى

هبطت بعينى فى أعماق فنجانى
فرأيت الكون يخلق من جديد
هذا النقيع فى القاع له غبار
يهيم طليقاً فى فضاء مديد
أدرت فيه الملعقة
وإذا بدوامة تدور ثم تدور
وتجمَّع الغبار
فى كتلة دائرة معلَّقة
وبدا فى الأفق نجم وليد

أيتها الحياة التى فينا

صهيل خيل
وصليل سيوف
وقصف رعد فى السماء
وخرير ماء
وتلاطم أمواج على صخور
وزئير أسود

***

وتحطم بلّور على بلاط قصور
وشدو بلابل فى السّحر
ونعيق بوم
ودبيب نمال على جذوع كروم
كل هذا لك أنتِ
قطعة لحم علامة استفهام

دخان أفكار

تماسيح تسيح
بمتاع وحقائب من جلد التماسيح
تخطر فى ثيابها الزرّد
وتذرف دموعاً من بَردَ
وتتمدد تتدفأ فوق عشب السحب

***

هلموا يا صحاب فقد حان المساء
والليلة ليلة عرسها
فلنرقص ولنشرب
فوق شفاه بركان
يدخن القنّب

أين المصير...

أربع أقدام
ثم اثنتان ثم ثلاث
تدب على رمال الزمن
لغز أبى الهول الخالد
تسير عطشى كالإبل
طول الطريق

***

وصفير الريح يأتى كالأنين
مؤذناً بالأجل
تسع أقدام كالعجل
تجرى تحمل السنين
كأنهار رمال فى رياح
إلا الطريق

شعر منثور قديم لتوفيق الحكيم (١٩٢٦)

مجنون الأميرة الفرعونية

«نفرتيت» !.. ما أجملك !.. عيناك في صفحتها العجيبة تابوتان للأحلام... يرقد في أحدهما الحب... وفي الآخر الحب !..

ما أجملك يا «نفرتيت» !.. رأسك ذو الشعر الأسود شمس من الأبنوس...
رأسك اللامع كرة ساحر تبهر بصري وتشعل رأسي بدوار النشوة...

يا نفرتيتي الجميلة !.. نغمات صوتك فراشات بديعة الألوان تطير في لطف ورقة من جوف زنبقة حمراء ...

∴

نفرتيتي !.. لم يصنع مثلك بغير أن تفنى عبقرية ألف إله فرعوني !.. ولم يخلق نظيرك إله فرعوني دون أن يصاب بالجنون ...

∴

قبلاتك يا نفرتيتي عسل من نار ... بل خمر من عصير اللآلئ في كأس من نار !..

∴

اني أغار ... أغار من زوجك ، أسرته ...
انه الى جانبك ابدا ... فوق عرش واحد ...

نحن نملكها هالة من أنفاس الآلهة ...
ونحف بها العبيد بمراوح النخيل ...

∴

إني أغار ... الغيرة ... حيوان مخيف يسير
فوق شغاف قلبي ...

∴

تعرفين ... أسكن الدمع بين يدي كوكب
أسود بين يدي إله ... كوكب لا نظير له ...

∴

أنت لي وحدي ... أنت كوكبي ... فلنسبح معاً في
بحار الفضاء ، تاركين خلفنا الأرض وسكانها ...
ولنبحث عن جزيرة الهناء الدائم ... تلك الجزيرة التي
خلقتها الآلهة للإنسان ثم فقدناها ...

زهرتي !... جزيرة الهناء الدائم ليست في محيطات
الفضاء ... عبثاً تبحث عنها الآلهة في محيطات الفضاء ...
جزيرة الهناء الدائم المفقودة لا يعرف مقرها غيري ...
ميلي بأذنك نحوي كي أهمس لك بمكانها ...
أتدرين أين جزيرة الهناء الدائم ؟ انها
ليست في محيطات الفضاء ... انها في محيط عينيك ...

⁂

عيناك بحيرتان صافيتان ... يسبح في أعماقهما
الحب ... وفي الأعماق ... الحب ...

(باريس ١٩٢٦)

El HAKIM
POEME ARABE

Cette édition privée et limitée

est entiérement destinée our amis.

DU MEME AUTEUR
Ouurages parus en français

Schéhérazde - Poéme dramatique
Préface de Georges Lecomte de l'Académie Française
(Sorlot, éditeur - Paris 1936)
L'âme retrouvée (Fasquelle, éditeur. Paris 1937)
L'oiseau d'Orient (Nouvelles éditions Latines. Paris 1962
Un Substitut de Campagne en Egypte (PLON. Terre Humaine) Paris 1974
Théâtre Arabe (Nouvelles Editions Latines. Paris 1950)
Théâtre Multicolore (N.E.L. Paris 1958)
Théâtre de notre temps (N.E.L. Paris 1960)

AMOUR
I

Au fond de la nuit
une voix de femme
s'éleva vers le ciel :
" Allah, Toi l'Eternel,
au nom de Ton amour pour moi
pardonne - moi ."

Je lui dis :
" Femme égarée et étourdie
par le souci et l'émoi,
prie plutôt
" au nom de mon amour pour Toi."

" Non, non, dit-elle,
cela n'est point la merveille
la plus grande, la plus belle.
Le merveilleux, c'est que Dieu
le tout-puissant et glorieux
m'imprégne, Lui, et m'inonde
moi, la plus simple et humble du monde,
de Son pur et immense Amour."

II

Deux tombeaux
jumeaux et beaux
s'isolaient dans le désert
comme deux pigeons
égarés par un typhon.

Ils les abritaient,
Elle et lui,
Deux amoureux
Malheureux
dans leurs vies.

Et on y vit cette merveille :
Deux arbres verts
poussérent de ces deux tombeaux
jumeaux et beaux,
pour s'enlacer
et s'embrasser
avec leurs feuilles
pareilles aux baisers.
pareilles aux baisers.
On dit que jamais
depuis que l'homme sait aimer
des tels arbres ne poussérent
dans une telle terre.

III

Deux canards,
femelle et mâle,
vivaient leurs jours
beaux et courts
dans une basse - cour.

Et un matin
l'homme, de sa main
insouciante et cruelle,
prit le mâle pour le tuer
devant sa femelle.

La femelle
s'agita
et d'un coup d'aile s'évada
pour aller se jeter
dans le sang répandu.
de son mâle immolé.
puis elle mourut.

GENEROSITE

Le soleil couchant
à l'horizon mauve
demanda au mont " Mokattam" (1):
" Pourquoi es - tu si chauve ?"

" J'étais le mont le plus vert,
répondit - il,
et le mieux couvert
d'arbres et de fleurs,
jusqu'à la nuit oú le Seigneur
permit à Moïse sa vision
sur un certain mont."

Les autres monts de la terre
de jalousie protestérent,
sauf un petit mont de Galilée
qui se montra si humble et docile
que toute sa parure
de fleurs et de verdure
retomba dans la vallée.
Pour le récompenser,
Dieu ordonna à tous les monts
de lui prêter de quoi se revêtir.
Alors, moi, Mokattam
je lui fis donation
de tout ce qui m'aidait
à m'orner et à me couvrir
et je devins moi-méme dénudé

(1) Montagen dans le désert prés du Calre.

VOYAGE INTERPLANETAIRE

Toi qui survoles
notre terre chére,
notre mére " Terre "

Loin de nos maisons,
de nos pigeons,
de notre horizon,

Une foris
nos toits,
noslois,
dépassés,

Tu mourras
ou tu vivras
dans la faim
ou la fin
d'un passé

CLEMENCE

Au début Dieu créa
la plume.
Il la créa de la lumiére
blanche.
Il la créa d;une perle
rare comme, un merle blanc.

Perle immense, et longue
comme le chernin entre terre et ciel,
large comme la voie entre l'est et l'ouest.

Il la, créa et la regarda
La plume se divisa subitement en deux,
d'un regard respectueux et modeste.
et l'encre coula de son corps brisé
et coulera jusqu'au jugement dernier

Et Dieu lii dit : " Ecris"
La plume hésita,
ne sachant quoi écrire.
Et Dieu lui ordonna :
" Ecris mon " Savoir "
puis écris encore
pour tous les êtres de la terre :
" Ma clémence précéde ma colére ".

COULEURS

Pore l'homme
une cheval est un cheval,
qu'il soit rouge, blanc ou npir.

Pour l'homme
une fleur est úne fleur,
qu'elle soit jaune, mauve ou noire

Pour l'homme
un homme n'est pas "homme"
s;il n'a pas la même couleur.

LE PREMIER HOMME TUE

Quand Cain
tua Abel
la terre vierge et belle
trembla.
C;était son premier tremblement.
Le soleil également,
brillant comme un diamant,
S'éclipas.
Et l' épine poussa
dans la rose
qui devint morose,
et l'eau de la mer
qui était douce
devint amére.

L'AUTRE LUNE

Vers cette lune éclatante
nous nous traversons les nuées
au-dessus des mers écumantes.

Mais on ignore
qu'une autre lune
plus belle encore
reste à découvrir.

Elle n'est pas sur nos têtes,
elle n;est pasune planéte
qui nous impose un risque á courir

Avec quelle fuée
peut-on l'atteindre ?
On ne sait jamais.
On ne pense même pas
à faire un pas
vers cette noble lune.

Elle brille comme un diamant ,
elle nous appelle en murmurant,
mais nous lui tournons le dos
pour aller monter là - haut
dans ce voyage de chimére.

Et elle nous dit d'une voix amére:
" Regardez-moi, pauvres humains.

Je suis plus prés, plus utile.
Construisez d'abord ce projectile,
enchanté comme un ouvrage de fée
qui vous emménera vers moi,
moi qui m'appelle: La paix."

ATOME

Lorsque Dieu
voulut donner
le feu aux hommes,
il ordonna à Gabriel,
l'ange du ciel,
de descendre à l' enfer
demander une flamme
à son gardien.

" Quel poids veux-tu et pour quoi faire ? "
demanda le gardien de l'enfer.
" Le poids d'une pomme,
répondit Gabriel,
sufft à l'homme."

Et le garddien dit:
" Sais -tu, bon ange,
que ce poids suffit
à réduire en poussiére
sept cieux et sept teres?

" Qu'elle soit donc petite comme une noix".
Et le gardien d'une voix
lente et hésitante :
" Une flamme de mon enfer
petite comme une noix

pourrait faire
disparaitre l'eau du ciel
et sécher les plantes de la terre."

" Combien danc faut-il prendre,
O gardien du grand feu?'
Et le gardien répondit :
" Pour servir l'homme
sans le réduire en cendre
prend à peine le poids d'un atome."

MORT

" Si toutes les eaux des fleuves et des mers
m'étaient versées sur les épaules".
dit l'ange de la mort,
" Pas une goutte ne serait tombée
hors de mon corps"

"La terre entiére dans ma main
ressemble à une piéce de monnaie,
ou `a une table riche des mets
destinés à mon diner."

Un soir il devra
anéantir les mers.
Il les regardera et dira :
" L'heure a sonné ".
Et les mers le supplieront :
" Attends, ange de la mort,
ne veux -tu nous donner
un moment pour pleurer
nos flots, nos écumes,
nos perles, nos trésors ?"

Mais il lancera son cri terrible
et les mers et les océans
retomber ont dans le néant.
Puis il regardera et dira aux monts :
" L'heure a sonné":
Et les monts demanderont

un moment pour pleurer
leur force et élévation.
Mais à son cri ils deviendront,
avec leurs vallées et sommets,
comme des bulles de savon.

Puis viendra le tour de la terre.
A ce mot " l"heure à sonné"
elle se mettra à pleurer:
" Oú sont-ils mes rois, mes lois,
mes civilisations , ma glorie,
ma science, mon histoire?"

Et l'ange cruel et sévére
avec son cri de tonerre
engloutira la terre.
Mais.. pour la consoler
Il lui soufflera
comme on souffle à l'oreille
d'une voix douce et nette:
" Tu meurs aprés avoir découvert
les deuxgrandes merveilles
dont nulle autre panéte
ne soupçonne l'existence :
L'Amour et L'Espéranc."

JUSTICE

Dans le monde des fourmis
du matin au soir
on buvait, on dansait,
pour célébrer une victoire.

Un orateur hatangua la foule
évoquant le jour d'un miracle
oú les fourmis surmontérent un obstacle.

Elles sortirent en armée
bien rangée
de toutes les portes
pour traverser les ruisseaux
Sur des bateaux
de feuilles mortes.

" Savez - vous, dit - il à ses soeurs,
ce qui fait notre granderur,
ce qui nous sauve toujours des abimes ?
La Discipline."

Un philosophe ricana:
" pour être grand, il faut être sublime
et nous sommes enfouis sous terre,
ne voyant que l'obscurité

" Regardons un peu là -haut,

il y a un monde de lumiére,
le monde des oiseaux
qui vit dans la Liberte."
Le mot " Liberté" jeté dans cette terre
prit un son de tonnerre.
" Pourquoi sommes-nous privés
d'un tel bienfait qui fait
la grandeur du monde volant."
Ainsi parlérent les êtres des ténébres.
Une délégatrion tut vite formée
parmi les plus sages des tourmis
pour aller demander aux oiseaux
leur secret.

De leurs pas lents
les fourmis grimpérent un tronc.
Le chemin était long
jusqu a la cime luisante
oú le rossignol vit
et chante
dans son nid.

" Que faites-vous là ?"
demanda l'oiseau chanteur.
" Nous sommes venus d'en bas
en quête de ta grandeur."
De son chant doux
le rossignol dit :
" Je suis tellement petit
à côté des vautours

qui rôdent aux alentours."
" Tu possédes la liberté
disent les fourmis.
" Oui, en effet, mes petites amies,
mais la liberté n'est qu;une aile
qui ne vole pas seule
dans le grand ciel.
Saveez-vous comme on applle
l'autre aile protectrice ?
La justice.
Ce mot étrange une fois encore
bouleversa les petites créatures:
" Toi, merveille de la nature,
chanteur de la nuit et l'aurore
tu ne posséde pas cette "Justice" ?
" Non, malheureusement, non!"
Personne sur la terre
ne posséde ce don,
Personne dans les arbres
personne au found des mers.
peut-être.. un seul être
pourrait - il prétendre
à une part minime
de ce fruit divin
pour devenir magnanime:
C'est " l'Etre humain".

PRIERE

Cadre d'une image en couleurs
qu'on appelle fenêtre.
Le tableau vivant bouge dans l'espace:
arbres comme des fantômes d'humains
et des épis de gens qui se meuvent
et un astre brille dans le ciel comme une goutte
[d'eau
et la met est bleue comme sur les tableaux.

Et le Soleil joue à l'aube
avec sa boîte de couleurs à l'horizon
L'art vit tout seul sans artiste:
et le coeur exhale de ses profondeurs une priere.
Une priere qu'on nomme " émerveillement".

JEUX

Le ciel baille à tout moment
de l'ennui de l'éternité.
et souffle des bulles de savons,
qui brillent de couleures et de lumiéres.
Puis les laisse éclater dans le vide.

La grande bouche revient,
de l'ennui de l'éternité,
à meubler son vide.
Revient puis revient puis revient
aux jeux des enfants gâtés.

EXTASE

J'ai port´é ma coupe `a ma bouche.
Les graines se répandirent dans la coupe.
J'y ai à peine plongé les lévres,
et me suis arrêté subitement.

J'ai avalé un astre.
Quand la brume avait couvert la coupe,
et que la neige en devint le sommet,
mon coeur s'en réjouit,
et le coq chanta annonçanr une aube nouvelle.

MON OISEAU

Si tu es oiseau,
je suis un ver.
Ton bec fredonne des chants,
que je compose de mes entraills.
Tu me cherches dans la boue,
mais moi je chante.
Je chante dans ta bouche
et tio tu n'entends pas.
Tu n'entends que ton chant à toi.

NOTRE LUNE

Un oeil d'or nous regarde
à travers un voile troué
C'est ce qu'ils disent mais moi je dis
que c'est une dent d'or d'une déesse frivole,
qui nous sourit à pleine nuit.
Les semences des prés lui applaudissent,
et les coeurs lourds en sont allégés.
Mais elle s'en va,
et ne reste d'elle qu'un voile qui s'agite.
puis s'endort dans la nuit.

SA FENETRE

Les fleurs de lilas se sont répandues
et sur le mur de l'éternité suspendues.
Couleur senteur et printemps
sont versés sur le monde de son vase d'amour.
Des fleuves de lilas émergent de sa fenêtre
couvrant les déserts de la terre et les vallées de la
[lune.

Tout est noyé par ce printemps;
et quand elle a fermé sa fenêtre,
mon coeur s'était brûlé.

QUI NOUS CHANTE?

J'entends des voix et ne vois rien .
J'entend la musique des lumiéres et ne vois rien.
Les gosiers d'une troupe qui chante sans savoir,
de quelle séve ils sont nours
ni qui a semé les airs sur leurs lévres.
Le tout se rejoint pour moi en une parfaite
[harmonie.
Si la création n'est pas poésie que peut-elle donc
[être?
Si nous ne sommes pas des mots poétiques que
[sommes -nous ?
Qui est -ce qui nous chante ?
D'une seule bouche et notes difféerents!

VUE DE LA- HAUT

Ecoutez oreille écoutez là - bas!
Quel silence lourd et pesant comme un animal en
[sommeil!
Un animal mort sans respiration
C'est le sommeil. Un sommeil qui couver tout.
Oú sont partis nos oiseaux, loin de leurs nids?
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là - bas.

Ecoutez oreille écoutez là -bas!
N'y a-t-il pas de paroles ? N'y a-t-il point de bruit?
Même les murmures et le son des attouchements
[n'existen plus.
Aucune voix à part la mienne venant d'ici.
Oú sont nos discussions nos rires et nos chansons ?
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là - bas.

Regardez yeux regardez là -bas!
Quelle est cette masse sombre sous vos paupiéres?
Est -çe une terre; est -ce une eau ou est-ce le ciel?
Tout est moulu; complétement pétri comme une
[pâte,
dans cet amalgame noir et mystérieux.
Mais je suis sûr, sûr que ma maison est là -bas.

Regardez yeux regardez là -bas !
Quelles sont ces vagues blanches sous vos
[paupiéres?

Est -ce du coton battu, est -ce de la fourrure
[d'agneau?
pourquoi tout est-il ainsi versé gaspillé,
comme du lait servi sans broc ?
Mais je suis sûr, que ma maison est là -bas

MON PASSE

Respiration matinale de chevaux,
galopant essouffés au fond de mon âme.
J'entends leur hennissement dans les profondeurs
[de mes jours.
Empêchez-les d'attendre mon passé.
Ils traversent des nuages qui passent ;
et laisse choir de leurs fers des cratères de feu
[brillantes,
qui plongent dans des yeux noirs,
aux étranges regards des femmes nues,
qui toussent et rient dans le marché des seins.

VIN

Un ivrogne aux portes du bistrot,
vagabonde fredonnant des airs.
Il vole les bijoux de sa femme,
pour les offrir à sa maîtresse.
Il vole les bijoux de sa maîtresse,
pour les offrir à sa femme.

Qui est sa femme ?
Qui est sa maîtresse ?
Deux visages en conflit dans les ténèbres.
Deux airs qui se confondent sans paroles.

Le timbre du silence retentit dans la coupe du
[temps,
et résonne comme une illusion dans les vers du
[bistrot.

PAROLES D'ETOILES

L'univers est noir, l'univers est noirs.
Les étoles se parlent par l'éclat,
pour tromper la peur et résister,
dans la mer profonde de la perdition.
Mer d'encre ;
où nage les oiseaux blancs,
avant de sombrer dans le noir.

PAROLES D'HOMMES

L'univers est noir, l'univers est noirs
Les étoiles se parlent par l'éclat,
pour tromper la peur et résister,
dans la mer profonde la perdition.
Mer d'encre:
oú nage les oiseaux blance,
avant de sombrer dans le noir

PAROLES D'HOMMES

L'univers est blanc, l'univers est blanc.
Perles dans des coupes, qui illuminent les têtes.
Envolée de nuages ; envolée de cygnes et robe de
[martiée.

Et la nuit est recouverte d'aube diluée.
Et un mort éternue dans son linceul.
Et une voix se demande vers où le voyage ?
Et un vent souffle sur les voiles,
pour nager dans une mer de chimère.

CIE

Un couvercle hermétiquement clos.
Bleu comme l'éternité.
Du bleu de la conscience d'un enfant nouveau-né.
Complètement fermé sur un diamant,
dans un crâne luisant à l'intérieur.
Qui se croit solitaire.
Il dit des monts et vit des amours
et dort longuement avec des yeux inexistants.

UN BAISER

Une monnaie dorée s'en est allée,
tombée en un clin d'oeil.
Elle roula sur le marbre rouge du parterre
avec un son doux.
Elle disparut dans un trou.
La servante arrogante dit,

d'un sourire jaune :
Assez ! laisse-moi astiquer le parquet.

MA VERITE

Quel bel éclat à ce broc d'argent,
qui brille comme l'aube entre les mains d'un
[sommelier noir .
Le sommelier nègre s'approche et plonge son
[regard dans le mien
comme un rayon percant, comme une épée qui
[tranche le silence.
Si un sommelier blanc te sert à boire,
la vérité coule au sein du linceul.
Et si c'est un sommelier noir qui te sert
elle surgit comme un astre à travers les nuages.
Le nègre me pointa de son index :
regarde au fond de ton verre et tu la verras.
J'ai regardé ce fond tout plein d'espoir
Mais ce n'était que mon oeil à moi qui me fixait.

AIR ... AIR

Veines d'or d'une montagne.
Montagne qui marche sur un pied.
Pied qui vole sur des roues.
Roues qui roilent sur un marbre.
Marbre d'un temps nuageux.
Nuages d'un terrain d'étoiles.
Etoiles d'un corps d'yeux.
Yeux d'un corps d'étoiles.

Etoiles d'une atmosphère de silence.
Silence de coquillage de mers.
Mers d'une coupe en papier.
Papier qui bout et brûle.
Brûle puis revient.
Revient et court comme un cheval.
Cheval d'un champs de course éclairée.
Eclairée du fond d'yeux.

Yeux d'un monstre dans le vide.
Vide d'une tête ivre.
Ivre de vignes de montagne.
Montagne aux veines d'or.
Or qui rayonne dans l'air.
Air qui engendre de l'air.
Air qui se nourrit d'air.
Air d'une decendance d'air.

POUPEE

Poupée de bois.
Habillée en soie.
Ses tresses sont des rayons de soleil.
Ses paupières de la pluie.
Elle ferme see yeux et les ouvre,
et le soleil se fâche et se réjouit.
Poupée de bois,
à la vie éternelle.
Car tout ce qu'elle fait,
cest de fermer ses yeux et les ouvrir.

LA TASSE

J'ai fixé de mon oeil le fond de ma tasse,
et j'ai vu univers qui se recrée.
Ce résidus au fond a une poussière
qui se perd libre dans un vide qui s'étend.

J'y ai tourné am cuiller ;
et voila un tourbillon qui s'agite et tourne
et réunit la poussière,
dans un bloc circulaire.
Et à l'horizon parut un astre qui anit.

POINT D'INTERROGATION ?

Hennissement de chevaux.
Et son d'épées.
Grondement de tonnerre dans le ciel
et ruissellement d'eau
Battement de vagues sur les rochers
et rugissement de lion.

Ecrasement de verre sur le parquet de palais.
Et chant rossignols magiques à l'aube.
Hululement d'hiboux de proie.
Pas de foumis sur des racines de vigne dorée.
Tout cela pour toi :
Pièce de chair : point d'interrogation ?

FUMEE

Crocodiles qui voyagent,
en matériel et sacs en peau de crocodile,
avancent dans leur accoutrement scintillant
et versent des larmes de crocodile
et s'étendent pour se réchauffer sur les herbes des
[nuages.

Allez les amis le soir est venu,
et ce soir c'est sa nuit de noces :
ne soyons pas de gens chiches.
Dansons et buvons,
Sur les bords du volcan
qui fume le hachich.

VERS LA FIN...

Un siffement de vent vient comme une plainte
prédisant l'approche de la fin.
Neuf pieds comme des roues
courent emportant les années,
comme des sables dans le vent.
Sauf le chemin.
Quatre pieds.
Puis deux, puis trois
battent les sables du temps
Le mystère de l'éternel sphinx.
Ils avancent assoiffés comme des chameaux.
Tout le long du chemin.

TABLE

إصـــدارات



اسم الكتاب	المؤلف
جداريات	ماهر المنشاوى
موسوعة البحر الأحمر (الجزء الأول) (الغردقة راس غارب)	محمد رفيع محمد
انكسار الجغرافيا	كمال عبد الرحيم
قراء القرآن ونوادرهم	حزين عمر
البربونى يتجه شرقاً	سعيد رفيع
العودة إلى جوبال	سعيد رفيع
حروف متشابكه	حياة الحضرى
لماذا أحبك حتى البكاء	فكرية غانم
ونس	محمد الحسينى
عباد الضل	محمد الحسينى
صندوق الحزن	محمد الحسينى
غرفة السر	محمد الحسينى
مس الكلام	محمد الحسينى

طفل الفجر (ترجمة ظبية خميس) .... **جوتاما شوبا**

لينا والبرتقال .... **سليمان نزال**

صاحب القلنسوة .... **حياة الحضرى**

دراما اللوحة .... **أ.د / مصطفى يحيى**

عبر الليل نحو النهار .... **محمد الراوى**

الفضيحة الإيطالية .... **محمد بركة**

الأميرة ذات الهمة (٤ أجزاء) .... **عبدالله السيد**

باب البحر .... **عبدالله السيد**

العبد (ترجمة د. محسن عباس) .... **أميرى بركة**

الملاح الطائر (ترجمة د. محسن عباس) .... **أميرى بركة**

رائحة المطر .... **منى سعيد**

روح الشاعرة .... **ظبية خميس**

مسك الختام .... **محمد عبدالرازق زهيرى**

أفيدونا عن الجمل .... **سعيد رفيع**

توفيق الحكيم .... **إبراهيم عبدالعزيز**